الأركان الخمسة
حِكَم وأسرار

تعليم ذاتي يُعرِّف المسلم
بمحاسن الإسلام في أركانه الخمسة

مركز أصول
Osoul Center
www.osoulcenter.com
Rabwah

الأركان الخمسة

حِكَم وأسرار

تعليم ذاتي ضمن سلسلة
السلوك والتزكية للمسلم الجديد

مركز أصول
Osoul Center
www.osoulcenter.com

ⓒ جمعية الدعوة والإرشاد وتوعية الجاليات بالربوة ، ١٤٤٥هـ

مركز أصول
سلسلة السلوك والتزكية (٩) : الأركان الخمسة .. حكم وأسرار. / مركز أصول - ط١. -. الرياض ، ١٤٤٥هـ
١٣٢ ص ؛ ..سم

رقم الإيداع: ١٤٤٥/٥٧١١
ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٨٤١٧-١٩-٥

- قام المركز بتصميم هذا الإصدار.
- يتيح المركز طباعة الإصدار ونشره بأي وسيلة مع الالتزام بالإشارة إلى المصدر، وعدم التغيير في النص.
- في حالة الطباعة يجب الالتزام بمعايير الجودة التي يعتمدها مركز أصول.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الرحيم الرحمن، عظيم السلطان، قديم الإحسان، أحمد ربي وأشكره، وأتوب إليه وأستغفره، وأثني عليه الخير كله، وأشهد أن لا إله إلا الله، ما شاء كان، وأشهد أن نبينا وسيدنا محمدًا عبده ورسوله المؤيَّد بالمعجزة والبرهان، اللهم صل وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه ذوي الفضل والإيمان.

أما بعد:

إنّ من جمال وحسن دين الإسلام أن سَمَّى أعلى درجة فيه وغاية ما يمكن أن يصل الإنسان إليه بمرتبة «الإحسان»؛ فالإحسان هو عنوان الجمال في الدين، وهو الذي عرّفه نبينا الحبيب المصطفى بقوله: «الإحسان: أن تعبد الله كأنّك تراه، فإن لم تكن تراه، فإنّه يراك» (صحيح البخاري برقم ٤٧٧٧).

وكان من جميل وحسن كرمه سبحانه على عبيده، أن ذلّل لهم الطريق إلى تلك الرُّتبة ورغبهم فيها، بأن أفاض على ما افترضه عليهم من عبادات من الحسن والجمال ما يجعلهم يتذوقون به حلاوة تلك الرتبة.

وما يجده الإنسان من محاسن في أركان الإسلام، يذيقه حلاوة قلبية وعقلية ونفسية تحببه في الله سبحانه وتبشره بالوصول إليه والقرب منه جل وعلا!

وقد قالوا قديمًا: من ذاق عرف، ومن عرف اغترف.

وهذا الكتاب، جمع واستعراض لبعضٍ من محاسن الإسلام في أركانه الخمسة الجليلة، عسى أن يسهم ولو قليلًا في تعبيد طريق يبتدئ بالمحاسن وينتهي بالإحسان، للوصول إلى رضا الرحمن جل وعلا.

محتويات الكتاب

المحور الأول

التوحيد نقيض الشرك

تمهيد ١٢

مفهوم التوحيد وضرورته ١٦

أدلة التوحيد ونقض الشرك ١٨

آثار التوحيد ٢٢

التقويم ٢٨

المحور الثاني

رسالة النبي محمد ﷺ

تمهيد ٣٢

من هو محمد ﷺ ٣٤

معالم الرسالة المحمدية وفضائلها ٣٦

كتاب الله تعالى القرآن الكريم ٣٨

سنة رسول الله محمد ﷺ ٤٠

أثر اتباع النبي ﷺ ٤٢

التقويم ٤٤

المحور الثالث

الصلاة في الإسلام

تمهيد ٤٨

مفهوم الصلاة في الإسلام ٥٠

أسرار الصلاة وآثارها وثمراتها العملية ٥٢

الصلاة تربية مستدامة للمسلم ٥٤

مكانة الصلاة في الإسلام ٥٨

علاقة الرسول ﷺ والصحابة بالصلاة ٦٠

التقويم ٦٢

المحور الرابع

الزكاة في الإسلام

تمهيد ٦٦

مفهوم الزكاة في الإسلام ٦٨

أسرار الزكاة وآثارها وثمراتها العملية ٧٠

مكانة الزكاة في الإسلام ٧٨

نماذج مثالية للصدقة والجود ٨٠

التقويم ٨٢

المحور الخامس

الصيام في الإسلام

تمهيد ٨٦

مكانة الصيام في الإسلام ٨٨

مفهوم الصيام في الإسلام ٩٠

أسرار الصيام وآثاره وثمراته العملية ٩٢

الصيام دروس تأهيل وتربية للمسلم ٩٤

علاقة الرسول والصحابة بالصيام ٩٨

التقويم ١٠٠

المحور السادس

الحج في الإسلام

تمهيد ١٠٤

مفهوم الحج وحكمة تشريعه ومكانته ١٠٦

أسرار الحج وآثاره وثمراته العملية ١٠٨

الحج درس عظيم لإعادة تأهيل المسلم ١١٢

التقويم ١١٤

المحور السابع

أهمية أركان الإسلام في بناء المسلم

تمهيد ١١٨

العبادة في الإسلام ١٢٠

التقويم ١٢٦

الله جل جلاله

التوحيد
نقيض الشرك

أهـداف المحور

في نهاية المحور يتوقع أن يكون القارئ قادرًا على أن:

- يشرح مفهوم التوحيد ويبين ضرورته للإنسان.
- يبرهن بالأدلة القاطعة على صحة توحيد الله تعالى.
- يستقرئ آثار توحيد الله تعالى وأسراره في نفسه وفي الكون.
- يستنتج فضائل توحيد الله تعالى على الإنسان في الدنيا والآخرة.
- يستنبط مفهوم الشرك.
- ينقض مفهوم الشرك بالبراهين الدامغة.
- يعدد ويختبر السلوكيات الشركية.
- يستكشف نتيجة الشرك الدنيوية والأخروية.

تمهيد

قصة التوحيد: تبدأ مع أول البشر؛ آدم وزوجه عليهما السلام.

المكان: السماء.

الزمان: اللحظات الأخيرة لآدم وزوجه قبل الهبوط من الجنة إلى الأرض.

المناسبة: الخطاب الأخير قبل الهبوط.

الخطاب: على لسان آدم عليه السلام وزوجه ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأعراف: ٢٣]

هنا مؤمنان فقط، موحدان لخالقهما الذي أتاح لهما الأكل من كل أشجار الجنة ونهاهما عن الأكل من شجرة واحدة فقط، وحذرهما من إبليس وكيده، لكنه وسوس لهما فنسيا أمر ربهما ووقعا في المعصية ثم تابا واستغفرا.

فكان الحكم من الله سبحانه: ﴿قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [الأعراف: ٢٤، ٢٥]، وفي الأرض عاشا وتناسلا، وحذر الله ذريتهما من العدوِّ الأول .

يقول سبحانه: ﴿يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا ۗ إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الأعراف: ٢٧]

لكن...

لم يمض كثير من الزمان حتى نشهد مشهدًا مغايرًا.

المكان: الأرض التي أُهْبِط الأبوان إليها.

الزمان: بضعة قرون بعد وفاة آدم، وتحديدًا في زمن نوح عليهما السلام.

المناسبة: الاستكبار والجحود.

الخطاب: حوارٌ دائرٌ بين نوح عليه السلام، وقومه.

نوح: ﴿يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾﴾ [الأعراف: ٥٩]

قوم نوح: ﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾﴾ [نوح: ٢٣]

النتيجة: ﴿مِّمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَنصَارًا ﴿٢٥﴾﴾ [نوح: ٢٥]

التوحيد هو الأصل

إن من أهم القضايا التي دلت عليها قصة آدم عليه السلام، أن توحيد الله عز وجل هو الأصل في بني آدم، كيف لا وقد خلق الله آدم بيديه وعرَّفه بنفسه وأنه هو وحده الآمر الناهي في هذا الكون، وحذَّره من عدوه -وهو إبليس اللعين- الذي كاد له منذ اللحظة الأولى لوجوده، لكنه نسي التحذير وأكل من الشجرة فعوقب بالهبوط إلى الأرض، ليبدأ حياة أخرى مدارها التكليف والاستخلاف في عمارة الأرض.

وبقي أمر التوحيد على ما هو عليه في ذريته حينًا من الدهر، إلا أن عدوهم كان يتربص بهم ويتحين الفرصة لتنفيذ وعده الذي قطعه على نفسه: ﴿لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾﴾ [الإسراء: ٦٢] ؛ أي لأحرفنَّهم عن الطريق الحق، ولأستميلنَّهم إلى العصيان والشرك والكفر، وبمكره الإبليسي استطاع أن يقنع قومًا من بني آدم جاؤوا بعده بزمان أن يبنوا للصالحين منهم قبورًا بارزةً ليستذكروا فضلهم، ومن هؤلاء من ذكر الله سبحانه في الآية السابقة: كيغوث، ويعوق، ونسر، ومن هنا بدأ انحراف البشرية عن التوحيد، حيث تدرج إبليس معهم جيلًا بعد جيل إلى أن وسوس لقوم قبل مجيء نبي الله نوح عليه السلام، فنقلهم من تكريم أصحاب هذه القبور إلى تقديسهم وصولًا إلى عبادتهم، فكانت دعوة نوح عليه السلام تهدف إلى رد الأمور إلى ما كانت عليه في لحظاتها الأولى في زمن آدم عليه السلام، إلى التوحيد الصافي.

ولكن بسبب العناد والجحود والاستكبار لم يستجب لدعوته إلا القليل، رغم استمراره في دعوتهم ما يقرب من ألف سنة، فكانت العقوبة من الله تعالى بعد تلك السنين بالطوفان الذي انتصر لقضية التوحيد، بل وبه - أي بالطوفان - أراد الله أن يطهِّر البشرية من كل مظهر للشرك آنذاك، وأن يعيد البشرية إلى ما كانت عليه من التوحيد في بدء نزولها إلى الأرض.

فأما الناجون من الطوفان فكانوا على العهد والحذر، ولكن هذا الحذر يخبو كلما بَعُد العهد، حتى يأتي من ينسى لبعد الزمن فيقع بما وقع به أسلافه فيشركون بالله، فيرسل الله الأنبياء لتصحيح المسار.

فها هو إبراهيم عليه السلام يعيد سيرة نوح كما أعاد قومه سيرة قوم نوح.

يقول الله سبحانه مبيِّنًا قصة إبراهيم مع قومه: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا۟ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا۟ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [الشعراء: ٧٠ - ٧٧].

في قصة التوحيد مشاهد تتكرر، فالكِبْر يبقى هو الكِبر، بلا حجة تدعمه ولا منطق يسانده، فأقصى ما قدَّم قوم إبراهيم من دليل على شركهم، أنهم وجدوا آباءهم يشركون فأشركوا، فلما حاججهم وغلبهم كما قال سبحانه على لسانه: ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾﴾ [العنكبوت: ١٧]، لم يصبروا على هذه الغلبة العقلية، فكان من أمرهم معه كما قال سبحانه: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [العنكبوت: ٢٤].

فقصص الأنبياء مع أقوامهم تدور كلها على قضية التوحيد، وإن أردت الاستزادة فارجع إلى كتاب «**فبهداهم اقتده**» من هذه السلسلة تجد فيه ما يروي شغفك.

مفهوم التوحيد وضرورته

الإله الخالق المعبود الواحد

يقول ﷺ: «**الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله** ﷺ، **وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلًا**» (رواه مسلم برقم: ١).

إن الإسلام لا يمكن أن يُبنى في قلب إنسان وجوارحه إلا بالعودة إلى الأصل الذي عليه البشرية وهو التوحيد؛ وهو ما بدأ به هذا الحديث، ولخصه بأن يقرَّ المرء بما شاهده عقله من دلائل وشهدت به فطرته من أن الإله الخالق لهذا الكون والخالق للإنسان هو الله الأحد لا شريك له، فاشهد بذلك أيها الإنسان وسلم زمام أمرك له، واجعل أمرك تبعًا لأمره، فهو معبودك الحق لا إله غيره.

التوحيد: هو الاعتقاد الجازم بأن الله هو الإله الحق؛ الخالق لهذا هذا الكون ومالكه، المدبِّر له والمصرِّف لشؤونه وحده، وأنه ليس كمثله شيء في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، ونفي الشريك عنه في كل ذلك، وإفراده وحده بالعبادة.

ضرورة التوحيد

تظهر هذه الضرورة في جملة أمور، منها:

- **أن** الله تعالى طلبه، وأمر به كل مكلف، وأثنى على أهله، ومدح من توسل به إليه، ووعدهم أجرًا عظيمًا قال تعالى: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد: ١٩]، وقال عز من قائل: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البينة: ٥].

- **أن** عقيدة التوحيد هي الحق الذي أُرسلت من أجله جميع الرسل، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ٢٥﴾ [الأنبياء: ٢٥].

- **أنها** ملة أبينا إبراهيم عليه السلام التي أمرنا الله باتباعها، قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ أَنِ ٱتَّبِعۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٢٣﴾ [النحل: ١٢٣]، وهي أيضًا دعوته عليه السلام، قال تعالى على لسانه: ﴿وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ ٣٥﴾ [إبراهيم: ٣٥].

- **أن** الله تعالى جعل الإيمان والتوحيد شرطًا لقبول العمل الصالح وانتفاع العبد به في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَا كُفۡرَانَ لِسَعۡيِهِۦ وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ ٩٤﴾ [الأنبياء: ٩٤]، وقال سبحانه: ﴿وَمَنۡ أَرَادَ ٱلۡأٓخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعۡيَهَا وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعۡيُهُم مَّشۡكُورٗا ١٩﴾ [الإسراء: ١٩]، وقال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ١١٠﴾ [الكهف: ١١٠].

فإذا جاء العبد بغير التوحيد فقد خسر جميع عمله الصالح، قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٦٥﴾ [الزمر: ٦٥].

- **أن** سعادة البشرية في الدنيا متوقفة على التوحيد، قال تعالى: ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ١٢٣ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ١٢٤﴾ [طه: ١٢٣-١٢٤].

فحاجة العبد للتوحيد فوق كل حاجة، وضرورته إليه فوق كل ضرورة، فلا راحة ولا طمأنينة ولا سعادة إلا بأن يوحد العبد ربه في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله.

نشاط

ابحث في الآيات التي تدل على أهمية التوحيد وضرورته وفق ما مر معك في الفقرة السابقة وغيرها. من مفاتيح الجواب: (البقرة: ١٣٦)، و(الرعد: ١٩)، و(المؤمنون: ١)، و(آل عمران: ١٩٣ - ١٩٥)، و(النساء: ١٤٦).

أدلة التوحيد ونقض الشرك

العقل والفطرة يصرحان بتوحيد الخالق

مسيرة الأحداث بعد طوفان نوح كانت نماذج متكررة لما حدث للبشرية من بعد آدم: توحيد، ثم انحراف، فإرسال رسول يحذِّر ويذكِّر، فإنكار واستكبار، فعقاب للمكذبين المستكبرين.

بقيت هذه الأحداث تتكرر إلى زمن النبي محمد ﷺ حين جاءه قومه المشركون ليجادلوه في ربه جل وعلا، فقالوا له: اذكر لنا نسَبَه، ومن أين أتى؟ وكيف هي صفته وشكله؟

فأنزل الله تعالى في جواب هذا السؤال سورة تُقرأ إلى يوم القيامة، فيها جوابٌ للأمة الأخيرة، أمة الرسالة الخاتمة، جوابٌ مختصر إلا أنَّه يضع الضابط للعقل والقلب الإنساني عند أي محاولة انحرافٍ أخرى قد تأتي لاحقًا، لقد أنزل الله تعالى جوابًا على هذا السؤال «سورة الإخلاص»، التي بدأها الله عز وجل بقوله: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص: ١].

لو تأملنا سورة الإخلاص، وتدبرنا موضوعها، ولاحظنا مكان ترتيبها في آخر المصحف؛ لوجدنا أنّ آياتها جاءت للرد على المشركين، ونفي الشريك عن الله تعالى، وإثبات الوحدانية له سبحانه، دون أن تستخدم أيَّ دليل على ذلك. بل إنّ آياتها جاءت على سبيل التقرير، فكأنَّ كل ما تقدم في هذا القرآن من آيات إنما هو شهادة على حقيقة توحيد الله تعالى، وفي كلٍّ منها ما يثبت الوحدانية له سبحانه ويدلُّ عليها.

إن أدلة التوحيد في القرآن الكريم نداء للعقل وإيقاظ للفطرة، وكل من ألقى السمع

لعقله ولاحظ فطرته سلَّم التسليم التام بالتوحيد.

اقرأ معي الآيات الآتية بتمعن وتدبر:

﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾﴾ [المؤمنون:٩١].

﴿أَمِ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِّنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ ﴿٢١﴾ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [الأنبياء: ٢١، ٢٢].

إن القرآن ينفي فرضية وجود إلهين في الكون بالنظر إلى النتيجة التي تترتب على هذه الفرضية، وهذه النتيجة لها شقَّان، الأول: ﴿لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ﴾.

فلو افترضنا وجود إلهين فعلًا يقتسمان المهام لانعكس ذلك على المخلوقات اختلافًا بحسب خالقهم، فمثلًا لو أنهما اقتسما الكرة الأرضية؛ فإله تفرَّد بالكرة الأرضية في قسمها الشمالي، والآخر في الجنوبي، واستبد كل واحدٍ منهما في حكم قسمه وفي كل تفصيلٍ صغيرٍ، بدءًا من أصغر خلية في الإنسان وصولًا إلى أعلى جبلٍ فيهما؛ ﴿لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ﴾ ولوجدنا اختلافًا وتباينًا في صفات المخلوقين.

لكن الواقع يشهد بأن تكوين الخلق واحد في قسمي الكرة الأرضية؛ فالإنسان فيهما صفة خلقه واحدة، والحيوانات من جنس واحد صفتها واحدة، وكذلك الجبال والقشرة الأرضية والبحار، ليس في شيء من هذا اختلاف يمكن اعتماده دليلًا على اختلاف الخالقين وتعددهم، فإذا كان تكوين المخلوقين واحدًا كان هذا تأكيدًا على أن الخالق واحد.

قارن بين هذا المعنى وبين قوله تعالى: ﴿أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿١٦﴾﴾ [الرعد: ١٦].

ما معنى قوله: «فتشابه الخلق عليهم»؟

حاول أن تجد مخلوقات لغير الله تشبه مخلوقاته تعالى، هل تجد؟

ما نتيجة الاستفهام في هذه الآية؟

هذا على افتراض أنهما مستقلان في الخلق، كلٌّ في بقعة منفردة عن الأخرى، فكيف لو كانا يشتركان في الكرة الأرضية كلها؟

هذا هو الشق الثاني من النتيجة: ﴿وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾

فعلى افتراض أنهما كانا يشتركان في الكرة الأرضية كلها، وأراد أحدهما مثلًا أن ينزل مطرًا في مكان ما، بينما لم يرد الآخر ذلك، فنحن هنا أمام واحد من احتمالات ثلاثة:

الأول: أن ينفذ أحدهما مشيئته ويمنع الثاني من تحقيق إرادته، وهذا يعني أن من نفذ إرادته هو الإله الحق والثاني لا يستحق أن يكون إلهًا؛ لأن الإله لا يُغلب.

قارن بين هذا المعنى وبين قول الله تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾ [الأحقاف: ٤].

لماذا طلب الله تعالى من المشركين به أن يدلوه على مخلوقات لهؤلاء الشركاء المزعومين؟

ما دلالة هذا الطلب إذا كان الحال والواقع أن هؤلاء الشركاء لم يخلقوا شيئًا؟

الثاني: أن يبطِل كلُّ إلهٍ مشيئةَ الآخر، ففي هذه الحال سيتعطل الخلق ولا يوجد أي مخلوق، والواقع يشهد بخلاف ذلك؛ فالكون بما فيه مخلوق موجود فعلًا.

قارن بين هذا المعنى وبين مفهوم هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ﴾ [فاطر: ٤١].

من يمكنه إمساك السماوات والأرض عن الزوال؟

ما دلالة عدم زوال السماوات والأرض على وحدانية الله تعالى؟

الثالث: أن يتفقا على أن يقوما معًا بإنزال المطر على ذلك المكان، وحينها لا معنى لوجودهما معًا؛ لأن إنزال المطر يحدث بفعل الواحد منهما وليس بفعلهما معًا؛ وهذا دليل على الوحدانية وأنَّه لا يوجد إلهان.

إن الدلالة على وحدانية الله تعالى تعود في أصلها إلى مبدأ عقلي يستند إلى مقدمتين أساسيتين:

الأولى: وجود الانسجام والوحدة والتناسق في عالم الخلق.

والثانية: أنه لو كان يحكم هذا الكون أكثر من رب واحد؛ لما انتظم أمر هذا الكون ولدخله الفساد والخلل، وبما أنّنا لا نلاحظ أي اختلال أو خلل في هذا الكون والقوانين الحاكمة له؛ فقد أدركنا أنّ هذا الكون وقوانينه له مبدع واحد، وأنّه مخلوق ومنظَّم ومسيَّر من خالق واحد.

خلاصة

آثار التوحيد

فلنعد إلى سورة الإخلاص، اقرأ معي الآية الثانية بتمعن وتدبر: ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢﴾ [الإخلاص: ٢].

أتبع الله سبحانه الآية الأولى في سورة الإخلاص والتي نصت على الوحدانية بصفة أخرى هي الصمدية، والتي فسرها عددٌ من السلف والخلف بقولهم: «الصمد هو السيد الذي يصمد إليه في الحوائج»؛ فلا يُسأل غيره لقضاء الحاجات، ومن لا يُسأل غيره ينبغي أن يُعبد وحده. يقول الله تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ۝٦٢﴾ [النمل: ٦٢].

انتبه

كثيرًا ما يأخذ الشرك مفهومًا آخر غير إثبات الشريك لله تعالى في الخلق، و إنما في توهم أنَّ هناك مؤثرًا آخر في الوجود غير الله تعالى مستقلًّا عنه؛ فبعض الناس يغلب على ذهنهم في حالة المرض أن الدواء الفلاني هو الشافي، أو أنَّ الطبيب فلان هو القادر على إعادة الحياة لأكثر الحالات يأسًا بسبب مهارته الجراحية الفائقة، إلا أنَّ القرآن يوقظ الإنسان من غفلته و توهمه هذا، ويضعه أمام تلك الحقيقة الفطرية: أنه لو كان هناك ملجأ آخر غير الله يجيب المضطر ويكشف السوء لتوجه الناس إليه بالدعاء، لكن حينما يصاب المرء لا يقول إلا: يا رب، ولا يجد غير الله يلجأ إليه؛ لأنه لن يغش نفسه في حال الضائقة أو المصيبة التي ألمَّت به.

خلاصة

إنّ الإسلام لا يُلغي العلاقة بين الأسباب ونتائجها ، لكنه يدعو الإنسان إلى أن يوقن بأن تأثير تلك الأسباب إنما هو بيد الله تعالى، وأنه هو من جعل في الأدوية -على سبيل المثال- خاصية الشفاء، وهو القادر على أن يسلب منها هذا الأثر، وهذا مشاهدٌ محسوسٌ، فنجد رجلين مريضين بالمرض نفسه ويأخذان الدواء نفسه، فيُشفى أحدهما ولا يُشفى الآخر، فالدواء في حقيقة الأمر ليس إلا وسيلة سخرها الله سبحانه وتعالى لذلك، وما الشافي إلا الله جل وعلا، كما قال إبراهيم عليه السلام: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾﴾ (الشعراء: ٨٠).

وهذا له أثر نفسي كبير في ربط القلوب والغايات به سبحانه وتعالى عند كل هَمٍّ أو ضُرٍّ، فتطمئن ولا تضطرب؛ لأنها تعلم أن الأمر كله بيد الله.

ولا تتوقف الآثار النفسية للإيمان بالله تعالى إلهًا واحدًا على الطمأنينة في حال التوجه عند الاضطرار، بل إنّ التوحيد يعكس حالةً من الطمأنينة العامّة الشاملة لقلب الإنسان في كل ظروفه ومواقفه.

اقرأ معي قول الله تعالى وتدبر معانيه: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [الزمر:٢٩].

تخيّل لو أنك موظف مسؤول عن التسويق بدوام جزئي في شركتين متنافستين، ولديهما تضارب في المصالح، كيف سيكون استقرارك النفسي والذهني في كل يوم تضع فيه خططًا تسويقية لكل واحدة من الشركتين؟

ما وجه العلاقة بين هذا المثال التخيلي، وبين حديث الآية عن مزية التوحيد؟

خلاصة

أنت مليء بالمشاعر الداخلية: من تفاؤل وخوف، وحزن وفرح، وتردد وثقة، وغيرها، وإن استقرارك النفسي نابع من استقرار هذه المشاعر، والحقّ أنه لا توجد متعةٌ ولا راحةٌ نفسية كالتي تحدث حين تسير تلك المشاعر باتجاه واحد، حيث لا يقف وراء دفتها إلا سبب واحد وهو إرضاء المعبود الواحد الذي اخترت رضاه، فإنها حين تكون كذلك تصل بك إلى الراحة والطمأنينة، وتبتعد بك عن التشتت والتمزق.

وتطبيقًا لهذا المعنى، وحرصًا على ضمان حالة الاستقرار والطمأنينة في قلب وعقل الإنسان المسلم، تجد أن الإسلام قد حذر كل الحذر من مثل هذا التشتت في محاولة إرضاء أكثر من واحد، ولو على صعيد الشعور الداخلي الذي لا يطلع عليه أحد.

اقرأ معي حديث رسول الله ﷺ حيث يقول: «إن أول الناس يُقضَى يوم القيامة عليه رجل استُشهِدَ، فأُتِيَ به فعرَّفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استُشهِدتُ، قال: كذبت، ولكنك قاتلت لأن يقال جريء، فقد قيل، ثم أُمِرَ به فسُحِبَ على وجهه حتى أُلقِيَ في النار، ورجل تعلم العلم، وعلَّمه وقرأ القرآن، فأتي به فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: تعلمت العلم، وعلمته وقرأت فيك القرآن، قال: كذبت، ولكنك تعلمت العلم ليقال عالم، وقرأت القرآن ليقال هو قارئ، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار، ورجل وسَّع الله عليه، وأعطاه من أصناف المال كله، فأتي به فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: ما تركت من سبيل تحب أن ينفَق فيها إلا أنفقت فيها لك، قال: كذبت، ولكنك فعلت ليقال هو جواد، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه، ثم ألقي في النار» (رواه مسلم برقم ١٩٠٥).

ما العلاقة بين معنى هذا الحديث وبين اسم سورة (الإخلاص) بما تحتويه من معان؟

خلاصة

إن سورة الإخلاص التي ذكرت في آيتها الأولى صفة الوحدانية، وفي آيتها الثانية صفة الصمدية، ترسم الطريق لعقلك وقلبك في تعاملك مع خالقك، تخبرك بأن الله الذي خلقك واحد لم يتخذ شريكًا في ملكه، وليس هناك أحد يقضي حوائجك غيره، فأخلص العبادة له؛ لأنه غني عن عمل تتوجه نيتك فيه إلى غيره، وإن من ضرورة الإخلاص أن يكون توجهك بالعبادة لله وحده لا تبتغي بها نفعًا من غيره، وإلا وقعت في الرياء وهو أن تريد بالعبادة منفعة زائلة، كما مر في الحديث آنفًا: فيمن قاتل أو علَّم أو أنفق لينال ثناء الناس، فهذا وقع في الشرك الخفي، وهو شرك أصغر يحبط العمل حتى كأنه لم يكن.

أصل التوحيد عبادة قلبية عليها قيام الأمر كله.. للمزيد انظر في كتاب «**أعمال القلوب**» من هذه السلسلة.

ومن آثار التوحيد على نفس الموحد كذلك:

● **استشعار** حلاوة الدين والإيمان في حياته، يقول النبي ﷺ: «ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد رسولًا» (رواه مسلم برقم ٣٤)، ومعنى رضيت بالشيء: قنعت به واكتفيت به ولم أطلب معه غيره؛ فمعنى الحديث لم يطلب غير الله تعالى.

● **شعوره** بالحريّة الحقيقيّة في حياته، يقول رسول الله ﷺ: «تعس عبد الدينار، والدرهم، والقطيفة، والخميصة، إن أُعطي رضي، وإن لم يُعط لم يرض» (رواه البخاري برقم ٢٨٨٦)، وهذه أمثلة لمن تعلق قلبه بغير الله سبحانه، فمن حرص على شيء تحمل الذلة من أجله، ومن بالغ في طلب شيء وانصرف عمله كله إليه صار كالعابد له، **أما** المؤمن الموحد فقلبه متعلق بالواحد الأحد وهو الله سبحانه وتعالى.

هذا في الحياة الدنيا، فأما آثار التوحيد في الآخرة، فمنها:

● **أنَّ** التوحيد سبب دخول الجنان، كما قال رسول الله ﷺ: «من مات وهو يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله صادقًا من قلبه، دخل الجنة» (رواه أحمد برقم ٢٢٠٠٣ بسند صحيح).

● **وأنه** سبب لعدم الخلود في النار، يقول النبي ﷺ إن الله عز وجل يقول: «وعزتي وجلالي، وكبريائي وعظمتي لأُخرِجَنَّ منها من قال لا إله إلا الله» (رواه البخاري برقم ٧٥١٠).

فكر وناقش

قال الله عز وجل: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾﴾ (النساء: ١١٦).

- **اذكر** بعض السلوكيات الشركية التي تدخل في هذه الآية؟
- **ما** أثر الشرك على النفس البشرية؟
- **ما** نتيجة الشرك في الدنيا والآخرة؟

خلاصة

إن الشرك يشتمل على سلوكيات إذا فعلها الإنسان خرج من دائرة التوحيد:

منها تقديس غير الله سبحانه، على سبيل العبادة أو التعظيم، كالذي أخبرنا به الله سبحانه وتعالى من تعليل المشركين عبادتهم للأصنام بقولهم: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ (الزمر: ٣).

ومنها الاستغاثة بالأموات لدفع ضر أو تحصيل منفعة، ونذر الطاعات لهم مع الله أو من دونه؛ فالميت أضحى مفتقرًا لرحمة ربه لا يملك لنفسه ضرًا ولا نفعًا، فكيف له أن يغيث من يدعوه؟ يقول الله سبحانه: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾﴾ (الأحقاف: ٥).

ثم إن للشرك آثارًا خطيرة، ومفاسدَ جسيمة، وأضرارًا مهلكة، منها على سبيل الاختصار والإجمال، ما يأتي:

- **أن** الله تعالى بريء من المشركين ورسولُهُ ﷺ، قال عز وجل: ﴿وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُۥ﴾ [التوبة: ٣].

- **كل** ما ذكر في آثار التوحيد فنقيضها هي آثار للشرك بلا ريب، ومنها أن الشرك الأعظم سبب للخوف في الدنيا والآخرة، وأنه يطفئ في قلب المشرك نور الفطرة التي خلقه الله عليها، ويحصل له الضلال في الدنيا والآخرة، فالشرك الأكبر لا يغفره الله إذا مات صاحبه عليه، ولا يقبل للمشرك عمل إن كان له عمل صالح ولا يثاب عليه في الآخرة، ويحرمه دخول الجنة ويخلِّدُه في النار، وقد قال الله عز وجل: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾ [المائدة: ٧٢].

- **أنه** يقضي على الأخلاق الفاضلة؛ لأن أخلاق النفس الفاضلة من الفطرة وقد أطفأ الشركُ نورها، فأصبحت معرضة للانحراف والتشويه.

- **أنه** يقضي على عزة النفس؛ لأن المشرك يذل لمن لا يضر ولا ينفع، وقد يخضع لمن لا يسمع ولا يرى، ولا يعقل، وهذا في غاية الإهانة والتعاسة.

التقويم

١ أجب بصح أو خطأ مع تصحيح الخطأ:

☐ الأصل في البشرية هو الشرك.

.....

☐ التوحيد يتناقض مع العقل السليم.

.....

☐ من الشرك عبادة غير الله تعالى.

.....

☐ معنى الصمد: المُتَوَجَّهُ إليه بالحوائج.

.....

٢ علِّل ما يلي:

أ. الكون يشهد على وحدانية الله تعالى.

.....

ب. التوحيد سبب للطمأنينة.

.....

ج. أخذ الدواء لا يتعارض مع كون الله تعالى هو الشافي الحقيقي.

.....

٣ اختر الإجابة الصحيحة:

أ- التوحيد عكس:

- ☐ الشرك.
- ☐ الكفر.
- ☐ النفاق.
- ☐ الفسق.

ب- من الشرك الأكبر:

- ☐ طلب الحوائج التي لا يقدر عليها إلا الله منه سبحانه ومن غيره.
- ☐ عبادة الله مع قصد رضا الناس بتلك العبادة.
- ☐ إخفاء شيء عن الناس وادعاء خلافه.

ج- من آثار الشرك على الإنسان:

- ☐ أن الله تعالى بريء من المشركين.
- ☐ يقضي على الأخلاق الفاضلة.
- ☐ يقضي على عزة النفس.
- ☐ كل ما سبق صحيح.

TAQWA

رسالة النبي محمد ﷺ

أهداف المحور

في نهاية المحور يتوقع أن يكون القارئ قادرًا على أن:

- يعرف أهم معالم شخصية رسول الله وصفاته وقيمه وأخلاقه.
- يشرح عناصر الرسالة المحمدية ويبين أركانها وفضائلها.
- يعرف القرآن الكريم.
- يرتب ميزات القرآن الكريم والمعجزات التي تضمنها وفق أهميتها للدعوة.
- يعرف السنة الشريفة.
- يعلِّل المنزلة العظيمة للسنة عند المسلم.
- يحدد موقع السنة من القرآن والدين.

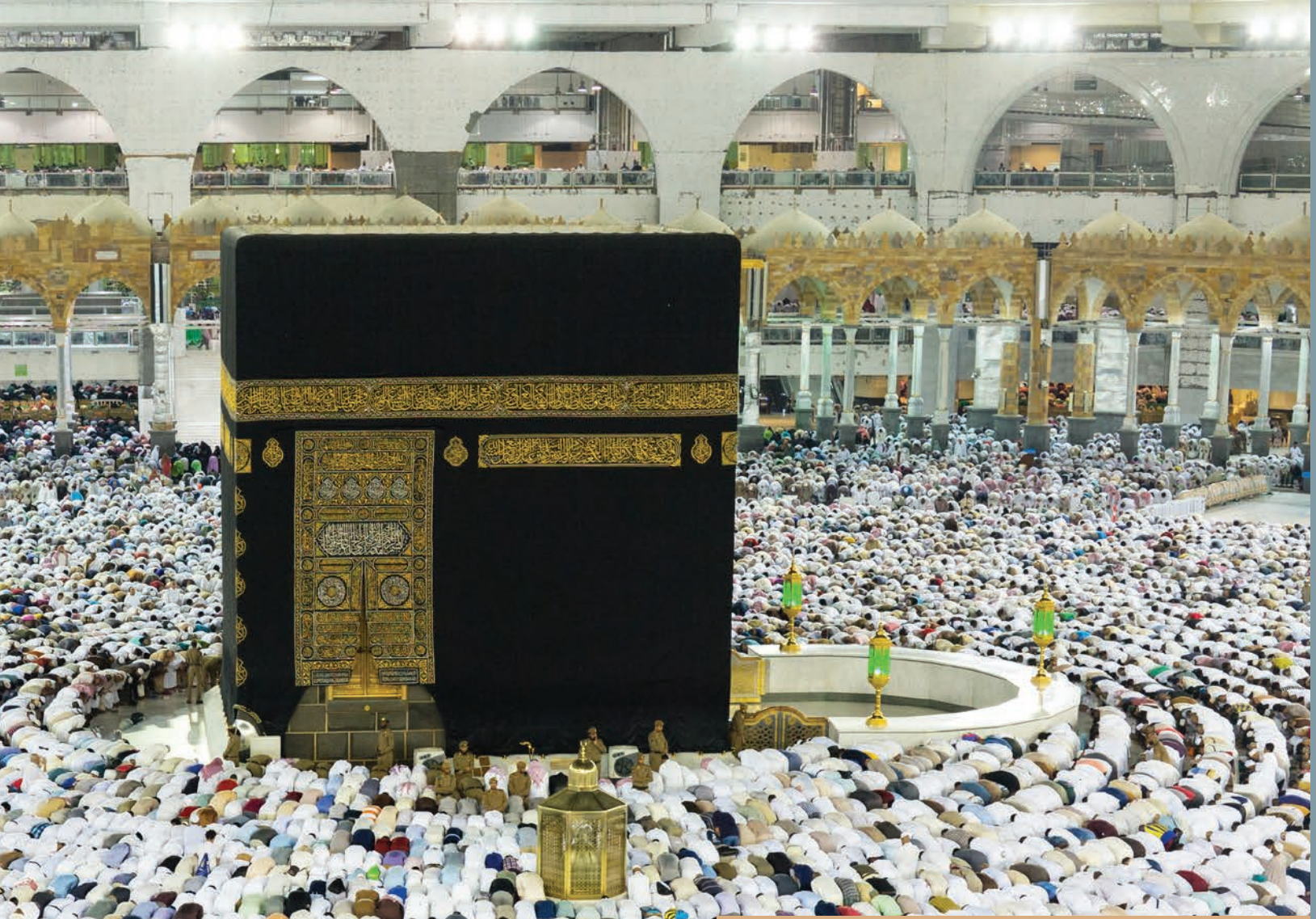

تمهيد

المكان: مكة.

الزمان: النصف الثاني من القرن السادس الميلادي.

المناسبة: مبعث آخر إنسانٍ يصل بين السماء والأرض؛ نبينا محمد ﷺ.

أحداث سيرته ﷺ دُوِّنَت وسُجِّلَت في كتب السيرة، وسنستعرض معلومات مختصرة منها لنصل للمحطة التي نريد الوقوف عندها.

ولد ﷺ يتيمًا، حيث مات أبوه قبل مولده؛ وأبوه هو عبد الله بن عبد المطلب شريف من أشراف قريش عالي النسب، وأمه آمنة بنت وهب، وهي يومئذ تعد أفضل امرأة في قريش نسبًا. كفله جده عبد المطلب وأرضعته حليمة السعدية، ثم ماتت أمه وعمره ست سنوات ليصبح يتيم الأب والأم، وقبل موت جده وعمره ثمان سنوات يوصي به إلى عمه أبي طالب فيشب في كنَف عمه، ويعمل بالتجارة، ويتاجر لخديجة بنت خويلد سيدة قريش ﵂، ثم يتزوج بها، فلما قارب الأربعين من عمره حُبِّبت إليه ﷺ العزلة فكان يختلي بغار حراء يتفكر ويتعبد، وكان لا يرى رؤيا إلا جاءت كفلق الصبح، إلى حين اللحظة الفاصلة في التاريخ البشري، لحظة الوحي، وبعدها لم يعد أيّ شيء يشبه الذي قبله، سواء على مستوى حياة النبي ﷺ الشخصية، أو على مستوى الإنسانية بأسرها.

من هو محمد ﷺ

الصادق الأمين

النور الذي جاء به نبينا محمد ﷺ لم يكن نورًا عاديًا، بل هو نورٌ أخرج البشرية بأسرها من أقصى ما وصلت إليه من انحطاط في القيم، وأسوأ ما وصلت إليه من ظلم مبررٍ بقاعدة البقاء للأقوى؛ إلى رحابِ حياةٍ مليئة بالعدل والتوازن والانضباط الأخلاقي.

وهذا الأثر للنبي ﷺ شهدت عليه دلائل في ملامح شخصيته وأخلاقه تركت أثرها في نفوس أعدى أعدائه يومها.

اقرأ معي هذه القصة التي حدثت بين أبي سفيان -وكان رأس المشركين قبل إسلامه- وبين هرقل عظيم الروم، حيث سأل هرقلُ أبا سفيان عن النبي ﷺ وصفاته، ودار بينهما حوارٌ ينقله أبو سفيان لنا فيقول: كان أول ما سألني -هرقل- عنه أن قال: كيف نسبه فيكم؟ قلت: هو فينا ذو نسب. قال: فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ قلت: لا. قال: فهل يغدر؟ قلت: لا» (رواه البخاري برقم ٧).

ما دلالة شهادة رجلٍ من أعداء المسلمين في ذلك الوقت على النبي ﷺ أنه ذو خلق حسن؟

خلاصة

كان النبي ﷺ على خلقٍ عالٍ حتى من قبل البعثة، وهو أمر كان من الوضوح والظهور، بما لم يسمح لواحدٍ من ألد اعدائه وأشدهم حقدًا عليه في ذلك الوقت، إلا أن يقول الحقيقة ويشهد له أنه كان من أفضل الناس وأحسنهم أخلاقًا.

نشاط

عُدْ إلى أحد كتب السيرة النبوية، وابحث في أحداث الهجرة عن سبب جعل النبي ﷺ ابن عمه عليًّا رضي الله عنه ينام في فراشه بدلًا عنه، وعن المهمة التي أوكلها إليه حينها، واستنبط من تلك الحادثة دلالتها على صفات النبي ﷺ.

معالم الرسالة المحمدية وفضائلها

رسالة النبي ﷺ شاملة لكل مناحي الحياة

أرسل الله نبيه محمدًا ﷺ برسالة الإسلام الخاتمة، التي تضمنت كل ما يحتاج إليه الإنسان من شؤون الدين والدنيا، على وجه يكفل المصلحة والسعادة للناس جميعًا، بقدر تمسّكهم بما جاءت به من هدايات وشرائع.

قال جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه للنجاشي ملك الحبشة: «كنا قومًا أهل جاهلية؛ نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، يأكل القوي منا الضعيف، فكنا على ذلك حتى بعث الله عز وجل إلينا نبيًّا ورسولًا منا، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله عز وجل لنوحده ونعبده، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش، وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنة، وأمرنا أن نعبد الله لا نشرك به شيئًا، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام والحج من استطاع إليه سبيلًا» (رواه أحمد برقم ١٧٤٠ وإسناده حسن).

- **ماذا** تفهم من كلام جعفر رضي الله عنه؟
- **ما** مناسبة هذا القول وأين حدث؟

ابحث عنه مستعينًا بأحد كتب السيرة أثناء قراءتك عن «الهجرة إلى الحبشة».

نشاط

استنبط من قول جعفر عناصر رسالة النبي محمد ﷺ (المرسِل - المرسَل إليه - المستهدَف من الرسالة - المحاور التي دعت إليها).

لاحظ وانتبه

من معالم الرسالة المحمدية:

- **أنها عالمية**، فقد قال الله سبحانه: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء: ١٠٧].
- **وأنها خاتمة الشرائع**، قال تعالى: ﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا ٤٠﴾ [الأحزاب: ٤٠].
- **أنها جاءت بالتيسير ورفع الحرج**، يقول الله سبحانه: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖ﴾ [الحج: ٧٨].

رسالة محمد عليه الصلاة والسلام خاتم الدعوات والرسالات وخاصتها، ارجع إلى كتاب «**فبهداهم اقتده**» من هذه السلسلة، واقرأ المزيد عن خلاصة دعوات الرسول .

كتاب الله تعالى القرآن الكريم

القرآن كتاب الله المعجز

إن الحديث عن النبي ﷺ وعن صدقه في التبليغ عن ربه جل وعلا يجرُّنا للحديث عن القرآن الكريم الذي يمثل -بما تضمنه من إعجاز- أساس رسالته، ودليل صدقه في دعواه أنه نبي مرسل من رب العالمين.

تأمل معي هذه الآية: قال الله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [النساء: ٨٢].

يدعو القرآن منتقديه أن يتدبروا جميع آياته ويبحثوا عن أي تباين واختلاف فيه، فلينظروا:

- **هل** يجدون في نظمه وبلاغته تباينًا؛ بأن يكون بعضه بالغًا حد الإعجاز، وبعضه قاصرًا عنه؟
- **أو هل** يجدون في معانيه اختلافًا؛ بأن يكون بعضه صحيح المعنى وبعضه فاسدًا سقيمًا؟
- **أو هل** يجدون أنه أخبر عن الغيب وقصص السابقين بما يوافق الواقع تارة، وبما يخالفه تارة أخرى؟
- **وهل** أتى بحقائق وعقائد وأحكام تشريعية لا تناسب البشرية، ويمكن الرد عليها والطعن بها؟

كل هذه الألوان من الاختلافات والاحتمالات لا نجدها في القرآن الكريم، مما يدل قطعًا على أنّه كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

ابحث وناقش

حاول أن تجد كتابًا -قديمًا أو حديثًا- غير القرآن يتضمن كل هذه الوجوه من الإعجاز (اللغوي، والتشريعي، وصحة المعلومات ومطابقتها للتاريخ والعلم، وغير ذلك من مواضيع الإعجاز)، مع تعدد مواضيعه وتشعبها، ويكون خاليًا من التناقض والخطأ، ثم إن لم تجد فما دلالة تفرد القرآن بهذه الصفات؟

لمحة تعريفية بالقرآن ، تجدها في كتاب «**أنت تسأل والقرآن يجيب**» من هذه السلسلة .

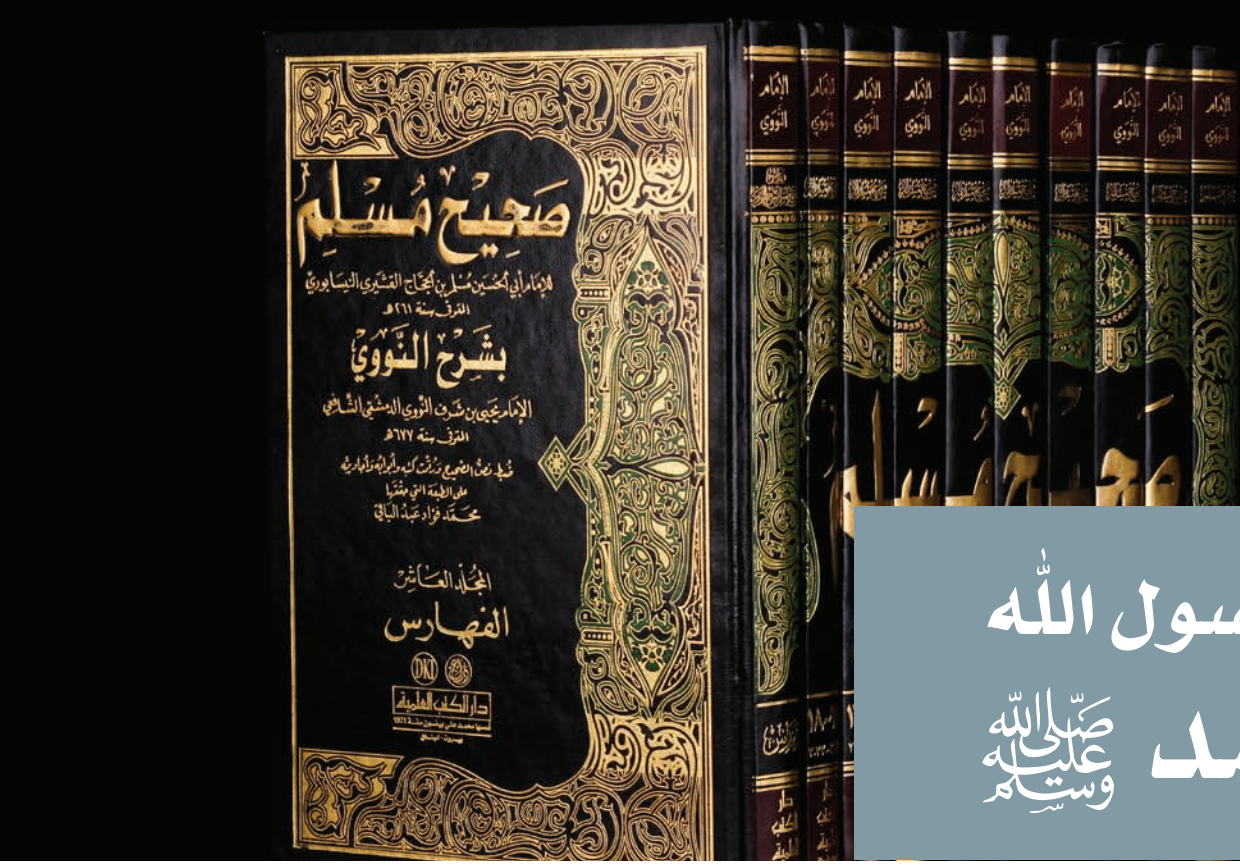

سنة رسول الله محمد ﷺ

مكانة السنة النبوية المشرفة

إنّ ما قدمناه من كون النبي ﷺ هو السراج المنير للبشرية، لا يقتصر فقط على أنه مبلغٌ عن الله تعالى كتابه الحكيم إلى الناس، بل في كونه أيضًا مفسرًا لبعض مضامين ذلك الكتاب، إضافة لكونه مشرِّعًا للناس ما يُصلح أمور دنياهم وآخرتهم.

اقرأ معي هذه الآيات:

قال الله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤].

وقال سبحانه: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧].

أعطى الله تعالى نبيه محمدًا ﷺ صفة تشريعية مبيِّنة ومكمِّلة للقرآن الكريم، وقد أُطلق على ما صدر من أحكام عن النبي ﷺ مصطلح «**السنة النبوية**».

ويمكن تعريف السنة النبوية بأنها:

كلُّ ما صدر عن النبي محمد ﷺ من قول أو فعلٍ، بل وحتى ما صدر عن بعض الصحابة في زمانه من قول أو فعل وأقرَّهم عليه.

واحتلت السنة النبوية المرتبة الثانية بعد القرآن الكريم في تشريع الأحكام،

وتتحدد مهمة النبي محمد ﷺ التشريعية **في مجالين اثنين:**

الأول: شرح الأحكام التي جاء بها القرآن وتفصيل مجملها، وذلك مثل تفصيل كيفية الصلاة.

وأما الثاني: ففي سن أحكام ووضع تشريعات جديدة لم يأتِ القرآن على ذكرها.

نشاط

عد إلى القرآن الكريم واستخرج منه مجموعة من الآيات التي يدعو فيها الله تعالى عباده إلى العمل بما جاء به نبيه محمد ﷺ واتباعه وعدم مخالفة أمره.

أثر اتباع النبي ﷺ

اتباع النبي ﷺ يوصل إلى محبة الله تعالى

قول المسلم: **وأشهد أن محمدًا رسول الله**، يعني أنّه بعد أن أقر بوحدانية الله تعالى ووجد في نفسه الطمأنينة إليه؛ يعلم أن صلة الوصل بينه وبين الإله الواحد هو نبينا محمد ﷺ؛ فهو الذي يعرّفنا بالله سبحانه ويعرفنا بمراده، وما شرع لنا من الأحكام، وما ارتضاه لنا من السلوكيات والأخلاق، فأثر النبي ﷺ في حياتنا هو أثرٌ جوهري موجود في كل تفاصيلها، إذ إننا به ﷺ عرفنا الله تعالى، وباتباعه ننال محبته سبحانه.

فاستحضر قلبك معي واقرأ قوله تعالى:

﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ [آل عمران: ٣١].

إذا كان أسمى مقصدٍ للإنسان المسلم هو الوصول إلى مرضاة ربه عز وجل عبر توحيده وعبادته، وأن ينال محبة الله الذي خلقه وأنعم عليه ووعده بالجنّة بكل لطائفها ومحاسنها، فإنّه لا يمكنه أن يكون أهلًا لمحبته سبحانه إلا باتباع السنة المحمدية كما نصّ عليه كلامه جل وعلا في الآية السابقة؛ وهذا يعني أنّ اتباع السنة النبوية الموصلة إلى محبة الله سبحانه تعد من أعظم المقاصد للمسلم بلا ريب!

أثر الشهادتين في الآخرة

ثم بعد ذلك كله تأتي الهدية النهائية لمن نطق وآمن بالشهادتين في الحياة الآخرة، فها هو حبيبنا محمد ﷺ يقول: «من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة» (رواه مسلم برقم ٦٨).

إنّ مراد النبي ﷺ بهذا الحديث أن الشهادتين هما مفتاح الجنة، فلن يدخلها من لم يملك ذلك المفتاح، وهذا لا يعني بالضرورة أن كل من نطق بالشهادتين لن يدخل النار، فهناك من عصاة المسلمين ومذنبيهم من سيدخلونها، لكنهم لا يخلدون فيها أبدًا، وفي يوم ما ستشملهم رحمة الله سبحانه ويخرجون منها إلى الجنة، فمن نطق بالشهادتين مؤمنًا بها كان نهاية مطافه في الآخرة دخول الجنة، وقد مر معنا في المحور السابق حديث النبي ﷺ أن الله عز وجل يقول: «وعزتي وجلالي، وكبريائي وعظمتي لأُخْرِجَنَّ منها من قال لا إله إلا الله» (رواه البخاري برقم ٧٥١٠).

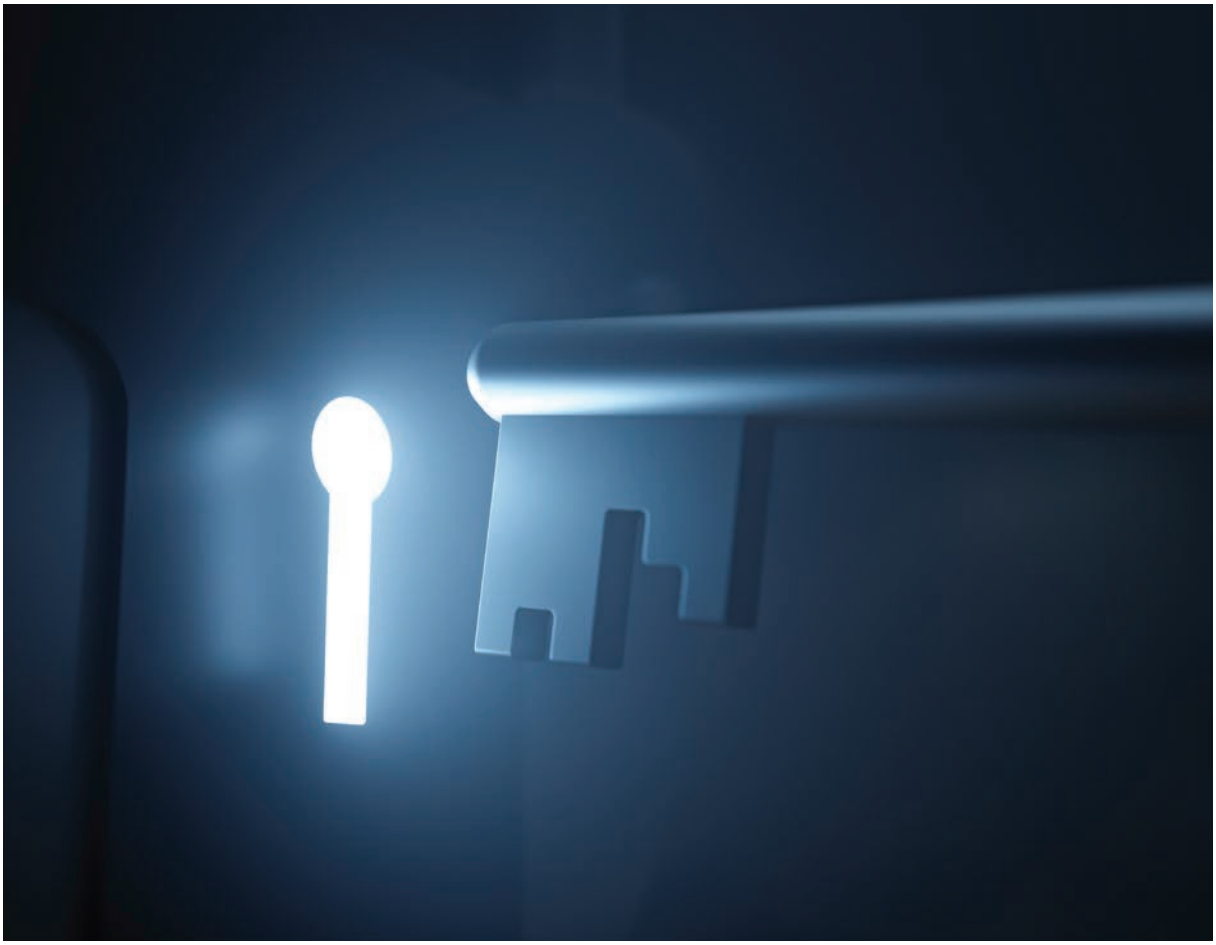

التقويم

١ أجب بصح أو خطأ مع تصحيح الخطأ:

☐ السنة النبوية هي كل ما صدر عن النبي ﷺ من أقوال فقط.

.....

☐ وظيفة النبي ﷺ تقتصر على تبليغ القرآن الكريم.

.....

☐ السنة تأتي في ذات مرتبة القرآن الكريم التشريعية.

.....

☐ السنة مبينة للقرآن فقط.

.....

☐ يقتصر إعجاز القرآن الكريم على الإعجاز البلاغي.

.....

☐ نطق الشهادتين يعفي صاحبه من دخول النار حتى لو كان عاصيًا.

.....

٢ علِّل ما يلي:

أ. رسالة النبي ﷺ رسالة شاملة.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

ب. بشرية النبي ﷺ حجةٌ علينا.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

ج. الإعجاز في القرآن دليل على أن مصدر القرآن هو الله تعالى.

.....

.....

.....

.....

الصلاة في الإسلام

أهداف المحور

في نهاية المحور يتوقع أن يكون القارئ قادرًا على أن:

- يحدد مفهوم الصلاة في الإسلام.
- يشرح حكمة الله تعالى في تشريع الصلاة وفي تعددها.
- يوضح منزلة الصلاة في الإسلام وحكمها بالنسبة للمسلم.
- يثمّن آثار الصلاة في نفسه في مختلف الظروف والأحوال.
- يشرح الثمرات العملية التي أثمرتها صلاته.
- يستنبط دور الصلاة في التربية المستدامة للمسلم مما يميزه عن غيره من الناس.
- يذكر نماذج من سيرة الرسول ﷺ والصحابة رضي الله عنهم تبين علاقتهم بالصلاة وثمراتها في حياتهم.

تمهيد

من فوق السماء السابعة كان فرضها

بعد أن تعرفنا على الله تعالى ورسوله محمد ﷺ، وما أرسل به من شرائع وتعليمات، ننتقل لنتحدث عن أول وأهم تشريع أرسل به ﷺ، وهو الركن الثاني من أركان الإسلام، فاسمع مني.

المكان: سدرة المنتهى.

الزمان: ليلة الإسراء والمعراج.

الحدث: رحلة الإسراء والمعراج؛ أول رحلة لبشر يتجاوز فيها حدود الأرض، ليس إلى الفضاء، ولكن إلى حيث تنتهي كل الفضاءات.

في هذا الموقف العظيم -حيث عُرج بالنبي ﷺ إلى ربه روحًا وجسدًا- فرض الله تعالى الصلاة، لتكون معراجًا لروح المؤمن وصلة بينه وبين رب السماء خمس مرات في اليوم والليلة!

الإسراء والمعراج:

من الأحداث المهمة في السيرة النبوية، وهي حادثة جرت قبل الهجرة إلى المدينة المنورة.

الإسراء: رحلة أرضية وانتقال عجيب، بالقياس إلى مألوف البشر، والذي تمّ بقدرة الله حيث انتقل النبي ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، ووصل إليه في سرعة تتجاوز المألوف في ذلك الزمان.

المعراج: رحلة النبي السماوية والارتفاع والارتقاء من عالم الأرض إلى عالم السماء، حيث سدرة المنتهى، ثم رجوعه بعد ذلك إلى بيته في مكة المكرمة.

انظر: تفسير ابن جرير الطبري وابن كثير وغيرهما من تفاسير القرآن الكريم: سورة الإسراء الآية رقم١، وسورة النجم آية رقم١ وحتى ١٨.

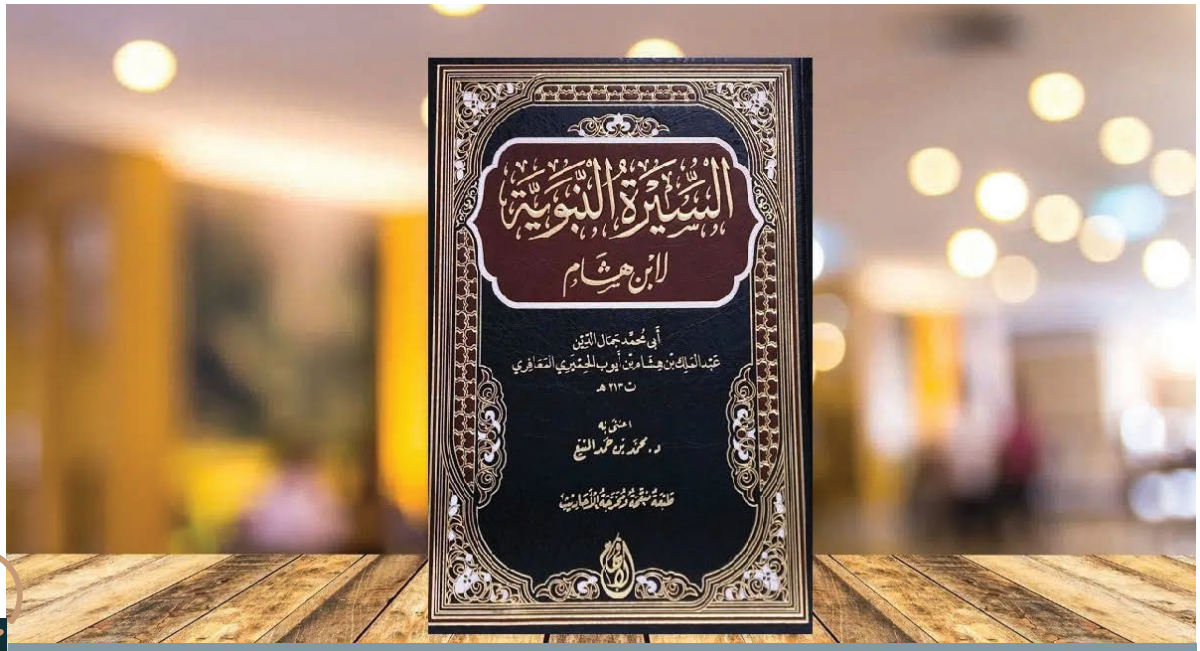

نشاط إثرائي

ارجع إلى كتب السنة والسيرة، واقرأ قصة الإسراء والمعراج، واستنبط منها أهم الدروس والفوائد، وشاركها مع أصدقائك.

مفهوم الصلاة في الإسلام

الصلة مع الله

كان للعرب قبل بعثة النبي ﷺ مفهومهم الخاص عن الصلاة، إذ إنَّ الصلاة في اللغة تحمل معنى الدعاء، وفي تلك اللحظة التاريخية تحول المعنى من مجرَّد الدعاء إلى مفهوم الصلة بين الإنسان وربه تبارك وتعالى، عبر هيئات حددها سبحانه لرسوله ﷺ فعلمنا إياها، حتى نضبط أفعالنا وأقوالنا أثناء تلك الصلة.

اقرأ معي حديث النبي ﷺ الذي يرويه عنه الصحابي أبو هريرة ﷺ بقوله: إن رجلًا سأل النبي ﷺ أن يعلمه الصلاة، فقال رسول الله ﷺ: «إذا قمت إلى الصلاة فأسبغ الوضوء، ثم استقبل القبلة فكبِّر، ثم اقرأ بما تيسر معك من القرآن، ثم اركع حتى تطمئن راكعًا، ثم ارفع حتى تستوي قائمًا، ثم اسجد حتى تطمئن ساجدًا، ثم ارفع حتى تطمئن جالسًا، ثم اسجد حتى تطمئن ساجدًا، ثم ارفع حتى تطمئن جالسًا، ثم افعل ذلك في صلاتك كلها» (رواه البخاري برقم ٧٥٧).

إنّ لتحديد هيئة الصلاة و أفعالها من قِبَل الله تعالى أهمية كبيرة، وذلك أنه حدد الطريقة التي يرضى عنها في إنشاء الصلة بيننا وبينه، وهي هيئة تشير بالدرجة الأولى إلى تكريم الإنسان، وهو ما تجده واضحًا في تأملك في تفاصيل تلك الصلاة؛ من هيئات، وأوقات، وحركات متناسقة، وأقوال متنوعة، وما يسبقها من طهارة ويتبعها من أذكار، ثم قدسية مصدرها؛ إذ إنها شُرِعت من قِبَل الله تعالى، وفعلها نبيه ﷺ على وَفق تلك الهيئة تمامًا، ثم علمها أصحابه فقال: «صلوا كما رأيتموني أصلي» (رواه البخاري برقم ٦٣١)، ففعلوا ونقلوها لنا، ومن ثَمَّ دُوِّنت تلك الأفعال والهيئات على صورة أحكام وقواعد في كتب الفقه.

وهنا يأتي السؤال:

- **كيف** يمكن للصلاة أن تغير حالنا إلى حالٍ أفضل؟
- **وهل** أثر الصلاة في الإنسان والمجتمعات أثرٌ حقيقي؟
- **أم** أنّ الكلام عن هذا الأثر مبالغٌ فيه ولا يتجاوز حدود الإنشاء الأدبي؟

هذا ما ستجيب عنها الفقرات التالية.

أسرار الصلاة
وآثارها وثمراتها العملية

الصلاة من أجل التغيير للأفضل

إن الكلام عن الصلاة كركن من أركان الإسلام يدعونا لنتكلم عن أسرارها وآثارها.

تأمل معي هذه الآيات:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١].

وقال سبحانه: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠﴾ [الشمس: ٧ - ١٠].

وقال أيضًا: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

وقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝٧٧﴾ [الحج: ٧٧].

لقد بيَّن الله سبحانه وتعالى للأمم نقطة الانطلاق لتغيير مسارها نحو الرقي والفضيلة والسعادة، نحو الفلاح، وذلك حين جعل النفس الإنسانية محور عملية التغيير، وأخذ بيد تلك النفس نحو جانب الخير في مقابل جانب الشر الذي يتنازع فيها، وقد عبَّر القرآن عن تلك العملية بكلمة «زكّاها».

فمن معاني التزكية: «تطهير النفس من كل صفة سيئة - فحشاء ومنكر- لا يرضى الله سبحانه وتعالى عنها»، وهو بالتحديد ما فُرضت الصلاة لأجله كما بين القرآن في آية العنكبوت.

الركوع دلالة خضوع العقل

الركـوع فعلٌ رئيسٌ من أفعال الصلاة، وهو يلفت أنظار كثير من غير المسلمين، وهنا قد يتبادر سؤال: **هل للركوع علاقة بتزكية النفس؟**

إن الإجابة على هذ السؤال تأتي من خلال التأمل في هيئة الركوع:

- **ما** الذي ينخفض تحديدًا من جسم الإنسان أثناء الركوع؟
- **إلامَ** يشير ذلك الانخفاض؟

للركـوع أهميته الكبيرة في الصلاة، من خلال ما يحمله من معاني الخضوع والاستسلام والتذلل بين يدي الله تعالى، وما يدل عليه من حقيقة ضعف الإنسان في مقابل عظمة الله وقوته، فالمسلم يعلم أنّه إن تميز عن الناس بشيء من مال أو علم اكتسبه بذكائه وعقله، فإن من منحه الذكاء والعقل هو الله جل وعلا؛ فهو يدرك حين يركع بذلك العقل لربه أنه سبحانه قادر على أن يسلبه إياه، فيعرف قَدْر نفسه، وأن الواجب عليه أن يستغله في خدمة خلق الله بأن يسخره في خدمة المشروع الذي كلفه الله تعالى به، والغاية من خلقه وهي الاستخلاف في الأرض، وعبادة الله سبحانه، ودلالة الخلق عليه، لا أن يتعالى عليهم.

ارجع إلى كتاب «روح الطهارة» من هذه السلسلة، واقرأ فيه عن الوضوء الذي هو أحد شروط الصلاة .

الصلاة تربية مستدامة للمسلم

الحكمة من تعدد أوقات الصلاة

يقول ﷺ: «أرأيتم لو أن نهرًا بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات، هل يبقى من دَرَنِه شيء؟» قالوا: لا يبقى من درنه شيء، قال: «فذلك مثل الصلوات الخمس، يمحو الله بهن الخطايا» (رواه البخاري برقم ٥٢٨، ومسلم برقم ٦٦٧).

شبّه النبي ﷺ الصلاة بالنهر الذي يغتسل منه الإنسان كل يوم خمس مرات، ولا شك أنَّ من يغتسل خمس مرات في اليوم، فإنه يكون على أعلى درجة من النظافة الجسدية، فكذلك الصلاة؛ تكفِّر الذنوب التي يقع فيها العبد بين تلك الأوقات الخمس، وبذلك يكون طاهرًا من الذنوب بأدائه للصلوات الخمس في كل يوم.

وهناك فهم آخر لهذا الحديث لا يُلغي الفهم السابق أبدًا، بل يزيد من عمقه ودلالاته، فالحديث يشير إلى عملية التفاعل المستمرة بين الإنسان والصلاة (النهر)، عملية التفاعل هذه لا تكتفي بإذابة الذنوب التي تحصل بين الصلوات فقط، بل إنه تفاعل يُذيب جذر ذلك الذنب (الدرن)، ويقتلعه ويستأصله استئصالًا، فهو لا يتحدث عن محو الذنوب في كل يوم فحسب، بل يتحدث عن محو واستئصال النزعة للذنب، أو على الأقل تهذيب تلك النزعة التي تحرّض الإنسان وتدفعه إلى الإقدام على هذا الذنب أو ذاك.

خلاصة

الصلاة والمداومة عليها عملية تربوية مستمرة، تساعدنا في السيطرة على أسوأ ما فينا، وإظهار واستخراج أفضل ما عندنا.

كيف نحصل على التأثير المرجو من صلاتنا؟

دعونا نتأمل في تلك النصوص التي بين أيدينا لنستنبط المعيار الذي يجعلنا نتفاعل مع الصلاة لتؤثر فينا:

يقول النبي ﷺ: «فإذا ركعت فضع راحتيك على ركبتيك، ثم فرّج بين أصابعك، ثم امكث حتى يأخذ كل عضو مأخذه» (صحيح ابن حبّان، رقم ١٨٨٧).

وعن أم سلمة، أنها ذكرت قراءة رسول الله ﷺ: «بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله رب العالمين. الرحمن الرحيم. ملك يوم الدين» يُقَطِّع قراءته آية آية» (رواه أبو دواد برقم ٤٠٠١ وصححه الألباني).

- **ما** دلالة قوله ﷺ: «ثم امكث حتى يأخذ كل عضوٍ مأخذه » في الحديث الأول؟
- **في** ضوء فهمك للحديث الثاني: كيف كانت قراءة النبي ﷺ في الصلاة: سريعة أم بطيئة؟ وما دلالة ذلك؟

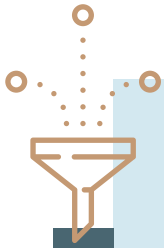

خلاصة

تتوزع الصلاة التي يؤديها الإنسان على خمس خطوط متزامنة ومترابطة ومتكاملة، لا ينبغي لأحدها أن يستقلَّ عن الآخر، وذلك إذا أردنا أن تكون تلك الصلاة بمثابة الصلة الحقيقية بيننا وبين الله تعالى، القادرة على إحداث التغيير فينا نحو الأفضل، وهذه الخطوط هي:

خط الزمن

إنّ ما تخصصه لصلاتك من «الزمن» أمرٌ أساسي في حدوث الصلاة «أو تلك الصلة المؤثرة» بينك وبين الله تعالى.

خط اللسان

أعطِ كلّ عبارة، بل كل كلمة في صلاتك مساحة من الصمت، تُقلبها في عقلك، وتتمثل معناها، وتتلذذ بتذوقها، وتلقي ظلالها وانعكاسها في نفسيتك.

خط الجسد

وبه تكون هيئتنا وصورتنا ومعالم وجوهنا ترجمة حقيقية وصادقة لكل ما يلهج به لساننا من معانٍ.

خط القلب

ينبض قلبنا بما يتحرك به لساننا، بحيث يصدق أحدهما الآخر، فلا يكون اللسان في وادٍ، وتكون الهواجس والنفس في وادٍ.

خط العمل

فنعقد النية والعزم على أن تكون حياتنا اليومية بعد الصلاة تطبيقًا عمليًّا لكلٍّ من خطي اللسان والقلب في صلاتنا، بحيث يصدق فعلُنا قولَنا، فلا تكون الصلاة مجرد طقوس شكلية منفصلة عن ممارستنا اليومية وعن علاقتنا بالله وبالآخرين.

نشاط

عد إلى أحد كتب السنة واستخرج منها مجموعة من الأحاديث التي تبين عظم منزلة الصلاة والأجور المترتبة عليها.

مكانة الصلاة في الإسلام

الصلاة الحد الفاصل بين الكفر والإسلام

كما كانت تلك الخطوط «الخمسة» فاصلةً بين اعتبار الصلاة المؤثرة من غيرها، كانت «الصلاة» في حد ذاتها معيارًا فاصلاً بين المسلم وغيره، فمكانتها لا تنحصر فقط في أثرها، بل في اعتبارها بطاقة التعريف الحقيقية التي تثبت انتسابك للإسلام من عدمه.

وهو ما عبّر عنه النبي ﷺ بقوله: «إن بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة» (رواه مسلم برقم ١٤٥).

إثراء

قال رسول الله ﷺ: «إن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله صلاته، فإن صلحت فقد أفلح وأنجح، وإن فسدت فقد خاب وخسر» (رواه الترمذي برقم ٤١٣ وحسّنه).

- ما دلالة البدء بالصلاة في الحساب يوم القيامة؟
- بين أهمية الصلاة في الإسلام من خلال جعلها معيارًا للنجاح والفلاح يوم القيامة.

علاقة الرسول ﷺ والصحابة بالصلاة

ما ذكرناه عن مكانة الصلاة ليس كلامًا نظريًّا منفصلًا عن الواقع، فمضامينه ظاهرة بوضوح في سيرة حبيبنا محمد ﷺ، وصحابته ﷺ والصالحون من بعدهم.

فالنبي ﷺ يقول: «وجُعلت قرة عيني في الصلاة». (رواه النسائي برقم ٣٩٣٩ وصححه الألباني).

وورد عن بعض أصحاب رسول الله ﷺ قولهم: عُدنا رجلًا من خزاعة، فقال: «وددت أن الصلاة قد أقيمت وصليت فاسترحت، فأنكرنا ذلك عليه، فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: يا بلال، أقم الصلاة، وأرحنا بها» (رواه أبو داود برقم ٤٩٨٥ بسند صحيح واللفظ لابن أبي شيبة في مسنده).

عُدنا: زرنا مريضًا ، **خزاعة**: قبيلة عربية

إنّ ما قدمناه من آثار الصلاة على النفس الإنسانية؛ من كونها صلةً بالله تعالى، تحمل في طياتها بذور الاطمئنان في النفس، ومن كونها بطاقة تعريف الإنسان المسلم، كل ذلك نراه يتمثّل حقيقةً في أحوال النبي ﷺ، وأحوال أصحابه ﷺ من بعده.

فقد كانت الصلاة راحة لأنفسهم، وكانت قرة عين للنبي ﷺ حتى إنه يود ألا يفارقها، بل إنه كان إذا أصابه هم أو نائبة فزع إلى الصلاة، وما هذا إلا لأنه كان يرى بها سكنه واطمئنانه، **فعن** الصحابي حذيفة بن اليمان ﷺ، قال: «كان النبي ﷺ إذا حزبه أمر صلّى» (رواه أبو داود برقم ١٣١٩ وحسنه الألباني).

واقرأ معي هذه القصة العجيبة التي حدثت مع أحد الصحابة لتدلك على مكانة الصلاة لديهم:

ففي غزوة ذات الرقاع نزل النبي ﷺ منزلًا، فقال: «من رجل يكلؤنا؟» فقام رجل من المهاجرين ورجل من الأنصار، فقال لهما: «كونا بفم الشِّعْب»، فلما خرج الرجلان إلى فم الشعب اضطجع المهاجري، وقام الأنصاري يصلي، وأتى رجل من الكفار فلما رأى الأنصاري واقفًا يصلي رماه بسهم فوضعه فيه فنزعه، حتى رماه بثلاثة أسهم، ثم ركع وسجد، ثم انتبه صاحبه، فلما عرف أنهم قد أحسُّوا به هرب، ولما رأى المهاجري ما بالأنصاري من الدم، قال: سبحان الله! ألا أنبهتني أول ما رمى، قال: كنت في سورة أقرؤها فلم أحب أن أقطعها.

انظر نص الحديث في سنن أبي داود برقم ١٩٨ وحسنه الألباني.

عن الصحابي عبادة بن الصامت ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب» (رواه البخاري برقم ٧٥٦).

● **ماذا تفهم من الحديث؟**

للصلاة شرائط وأركان وسنن وهيئات، الإخلال ببعضها يبطل الصلاة، ارجع إلى أحد كتب الفقه المبسطة وابحث في هذه الشروط والأركان والسنن ولخصها في بحث وشاركه مع زملائك.

إثراء

التقويم

١ أجب بصح أو خطأ مع تصحيح الخطأ:

☐ ورد الأمر بالصلاة في القرآن دائمًا بلفظ «صلوا».

.....

☐ يبقى الرجل مسلمًا حتى لو أنكر فرض الصلاة.

.....

☐ المعنى اللغوي للصلاة هو «الدعاء».

.....

٢ اربط بين النصوص والخط الذي تشير إليه:

النص	الخط
«ثم امكث حتى يأخذ كل عضو مأخذه»	خط العمل
كان رسول الله ﷺ يقطِّع قراءته آية آية	خط الزمن
﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ﴾	خط القلب
﴿وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ٢٣٨﴾ (البقرة: ٢٣٨).	خط اللسان

٣ اختر الإجابة الصحيحة:

أ- فرضت الصلاة في:

- ☐ السنة الثانية للهجرة.
- ☐ السنة الثانية للبعثة.
- ☐ ليلة الإسراء والمعراج.
- ☐ ليلة الهجرة.

ب- عدِّد الصلوات المفروضة على المسلم في اليوم والليلة:

- ☐ خمسون صلاة.
- ☐ صلاتان.
- ☐ خمس صلوات.
- ☐ ثلاث صلوات.

ج- هيئة وأفعال الصلاة جاءت:

- ☐ بتشاور واتفاق الصحابة.
- ☐ بتوقيف من النبي ﷺ.
- ☐ تركت للناس ثم توافقوا على هذه الهيئة والأفعال.

٤ علِّل ما يلي:

أ. الركوع اختص به الإنسان وحده.

.....

ب. الصلاة أول خطوة في رحلة تغيير الإنسان والمجتمع المسلم.

.....

الزكاة في الإسلام

أهـداف المحور

في نهاية المحور يتوقع أن يكون القارئ قادرًا على أن:

- يحدد مفهوم الزكاة في الإسلام.
- يشرح حكمة الله تعالى في تشريع الزكاة وأنها مرة واحدة كل سنة.
- يوضح منزلة الزكاة في الإسلام وحكمها بالنسبة للمسلم.
- يبين ارتباط الزكاة بالصلاة.
- يثمن آثار الزكاة على النفس والمجتمع.
- يشرح الثمرات العملية التي تثمرها الزكاة.
- يستنبط دور الزكاة في تربية المسلم وكيف يكون متميزًا بها عن غيره من الناس.
- يذكر نماذج عملية لآثار الزكاة وثمراتها في حياة السلف وما عاينه في الحياة المعاصرة.

تمهيد

بعد الرحلة الشائقة في رحاب الصلاة، تحط بنا الرحال في موطن الزكاة؛ ثالث أركان الإسلام، فاسمع مني قصتها:

المكان: المدينة المنورة.

الزمان: السنة الثانية لهجرة النبي عليه الصلاة والسلام إلى المدينة.

المناسبة: دولة وليدة، وفرائض جديدة.

تغيير المعادلة القائمة في المجتمع الجاهلي

التاريخ يراقب عن قرب مجتمعًا جديدًا سيشكل عمّا قريب المنعطف الأهم في تاريخ المعادلة المالية التي كانت منتشرة في كل الأرض قبل بعثة النبي ﷺ، تلك المعادلة التي اقترنت بكل انحراف عن منهج الله سبحانه، إلا من بعض من تأصل الكرم في نفوسهم، إنها معادلة «**فقراء يزدادون فقرًا، وأغنياء يزدادون غنًى**»،

وقد صورها الله سبحانه وتعالى لنا بقوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٤٧﴾﴾ [يس: ٤٧]، فهذه المعادلة ستشهد في السنة الثانية للهجرة تعديلًا لتصبح ﴿وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾﴾ [المعارج: ٢٤]، معادلة أخذت اسمًا جديدًا يتناسب مع معطيات المجتمع الجديد، إنها معادلة الزكاة.

مفهوم الزكاة في الإسلام

الطهارة والنماء

المعنى اللغوي للزكاة هو النماء والزيادة، وأما المعنى الجديد الذي وضعه الإسلام لمصطلح «**الزكاة**» فهو حصة مقدّرة من مال الغني فرضها الله تعالى مرة واحدة كل سنة لأصناف من المستحقين، وتفاصيل هذا المقدار وأولئك المستحقين ذُكرت في القرآن الكريم والسنة النبوية، وتجد لها في كتب الفقه الإسلامي تفصيلًا بالغ الدقة.

وقد جاءت الآيات والأحاديث بذكر الصدقة على معنى الزكاة؛ لأنها علامة صدق على الإيمان.

قال الله سبحانه وتعالى يذكر مصارف الزكاة: ﴿۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٦٠﴾ [التوبة: ٦٠].

وقال النبي ﷺ فيما رواه عنه الصحابي أبو مالك الأشعري رضي الله عنه: «والصلاة نور، والصدقة برهان» (رواه مسلم برقم ٢٢٣).

كل ما وجب عمله وجب علمه ، ارجع الى كتاب «كيف أتعلم الإسلام؟» من هذه السلسلة ، وانظر في الرابط بين هذه العبارة والزكاة .

أما المناسبة بين المعنى اللغوي للزكاة وبين المعنى الشرعي الجديد؛ فهي أن هذه الحصة المقتطعة من المال لا تنقصه بل تزيده وتقيه من الآفات النفسية والمادية، فعن الصحابي أبي هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ، قال: «ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبدًا بعفو إلا عزًّا، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله» (رواه مسلم برقم ٢٥٨٨).

فإذا أخرجت هذه الصدقة أو الزكاة من مالك، فإن الله يبارك لك فيه **ويدفع** عنك المضرات؛ فينجبر نقص الصورة بالبركة الخفيَّة، وهذا مُدْرَك بالحس والعادة، هذا فضلًا عن الثواب المترتب عليه، فإنه زائد به إلى أضعاف كثيرة.

ويبقى السؤال: كيف للزكاة أن تقي الإنسان من الآفات، وتزيد في مال الإنسان، مع أنها في طبيعتها قائمة على إنقاص المال الخاص ودفعه للآخرين؟

أسرار الزكاة
وآثارها وثمراتها العملية

أثر الزكاة على المزكي

سنحاول في هذه الصفحات أن نجيب عن السؤال السابق، فقد يظن بعض الناس أن الزكاة تنفع آخذها فقط، إلا أنّ النظرة المتوازنة للزكاة تجعل منها أداةً تنفع الغني والفقير معًا، أو لنقل الآخذ والمعطي معًا، وسنتطرق بدايةً لأثرها على المعطي؛ نظرًا لشدة ارتباط مفهوم الزكاة به، وظهور أثرها فيه ابتداءً.

التطهير من الشح

يظهر أول تلك الآثار عند تأملنا في النصوص الآتية، فتأملها معي وتدبر معانيها: يقول الله تعالى: ﴿وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ﴾ [النساء: ١٢٨].

ويقول سبحانه: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٩﴾ [الحشر: ٩].

وعن الصحابي جابر بن عبد الله ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «واتقوا الشح، فإن الشح أهلك من كان قبلكم، حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم» (رواه مسلم برقم ٢٥٧٨).

لقد شاء الله تعالى أن يغرس في الإنسان مجموعة من الغرائز والدوافع النفسية، وكان منها حب الذات وحب البقاء وحب التملك، وكان من آثار هذه الغرائز شحّ الإنسان بما في يده، وميله للاستئثار بالخيرات والمنافع دون الناس، إلا أنّ ذلك الشح له آثاره الخطيرة على الفرد و المجتمع، فقد يدفعه إلى سفك الدماء و هتك الأعراض في سبيل الحفاظ على تلك الخيرات والمنافع.

و لذا نجد أن الله تعالى قد امتدح أولئك الذين يَسمُون بأنفسهم إلى درجة يتجاوزون معها طبائع الشُّح في أنفسهم، وهذا المدح جاء بعد أن بيّن أن السبيل لتجاوز ذلك إنما يكون بإنفاق المال، وبهذا تحقق الزكاة معنى التطهير للنفس حين تطهِّر صاحبها من خبث ذلك الطبع الذميم المهلك.

الاعتياد على البذل والعطاء

وكما أنّ الزكاة تطهير لنفس المزكي من الشح، فهي أيضًا تدريب له على نقيضه، وهو خُلُق البذل والإعطاء والإنفاق، تأمل معي هذه الآيات: يقول الله تعالى مادحًا المؤمنين المتقين: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣﴾ [البقرة:٣].

ويقول سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٦٢].

ويقول أيضًا: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ﴾ [آل عمران: ١٣٤].

مما لا خلاف فيه بين علماء التربية والأخلاق أنّ للعادة أثرها العميق في خُلُق الإنسان وسلوكه وتوجيهه، ولهذا يُقال «العادة طبعٌ ثانٍ»، ومعنى ذلك أنّ للعادة من القدرة والسلطان ما يقرب من «الطبع الأول» الذي نشأ عليه الإنسان.

والمسلم الذي يعتاد الإنفاق وإخراج زكاة زرعه كلما حصد، وزكاة دخله كلما ورد، وزكاة نقوده وبضائعه التجارية كلما حال عليها الحول، يصبح الإعطاء والإنفاق صفة أصيلة من صفاته، وخلقًا راسخًا من أخلاقه.

لقد أمر الله سبحانه وتعالى بالإنفاق في كثير من الآيات، كقوله تعالى: ﴿وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾﴾ [البقرة: ١٩٥].

وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ ۗ﴾ [البقرة: ٢٥٤].

إلا أنَّ ذكر الإنفاق في القرآن الكريم جاء في كثيرٍ من المواضع بلفظ المضارع بدلًا من فعل الأمر الذي قد يفهم منه إتيان المأمور به لمرة واحدة فقط؛ وذلك لأنَّ للمضارع في اللغة دلالة على الحث والاستمرارية دائمًا، وهذه الاستمرارية هي التي تعزّز في الإنسان ذلك الطبع الإيجابي المتمثل في البذل والعطاء.

ولهذا الطبع الإيجابي أثرٌ أبعد من مجرد تكوين العادة الجيدة في النفس الإنسانية؛ إذ إنّ هذا الطبع تظهر قيمته الأساسية في كونه يحقق للإنسان معنى التحرر من ذل التعلّق بالمال والخضوع له، فالإسلام يحرص على أن يكون الإنسان عبدًا لله وحده، متحررًا من الخضوع لأيّ شيء سواه، سيدًا لكل ما في هذا الكون من عناصر وأشياء، كما مر معنا قريبًا في قول النبي ﷺ: «تعس عبد الدينار، والدرهم، والقطيفة، والخميصة، إن أُعطِي رضي، وإن لم يُعْطَ لم يرض» (رواه البخاري برقم ٢٨٨٦).

البركة واليقين

وللزكاة أثرها الفعلي على المال زيادةً ونماء، وأثرها على إيمان المسلم ويقينه بهذه الزيادة والبركة، حتى سُمِّيت صدقة وبرهانًا؛ أي على إيمانه وتصديقه بموعود الله سبحانه.

خلاصة

إن لله تعالى اسمًا هو الغني، ومعناه أن الله غني عن كل شيء ولا يحتاج إلى شيء، بل كل شيء مفتقر في وجوده إليه سبحانه، وهذا هو الغنى التام، وأما صفة الغنى في المخلوقين فهي أن يستغني بشيء عن غيره، فغني المال يستغني بماله عن الناس، فلا يسألهم ولا يحتاج إلى عطاياهم، لكن غناه ليس تامًا؛ لأن استغناءه عن الناس تعلق باحتياجه وافتقاره إلى المال.

ومن حكمة الله سبحانه في فرض الزكاة على الغني المؤمن: أنه أراد أن ينقله من درجة الاستغناء بالشيء إلى المقام الذي هو أعلى منه، وأشرف منه، وهو الاستغناء عن الشيء، أي أن يستغني عن الناس وعن المال ويجعل احتياجه وتعلق غناه بالله عز وجل.

تأمل معي وتفكر في هذه الآيات: قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٣٩﴾﴾ [سبأ: ٣٩].

وقال الله سبحانه: ﴿إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾﴾ [القلم: ١٧ - ٢٠].

إن الله سبحانه وتعالى وعد المنفقين من عباده بالخلف والزيادة والبركة، وتكون هذه البركة تارة في أموالهم زيادة وكثرة، وتارة في أجسامهم صحة وعافية، وتارة في أولادهم وأهليهم، وتارة في دينهم وإيمانهم، وتارة في حسناتهم يوم الجزاء عليها،

كما قال سبحانه: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾﴾ [البقرة: ٢٦١].

أما من منع الزكاة فقد حُرم هذا كله، بل قد يهلك ماله فيُحرَم مصدر رزقه، كما قص علينا القرآن الكريم في آيات سورة القلم السابقة قصة أصحاب البستان، حيث كان البستان لأبيهم وكان يؤدي حق الله تعالى في بستانه ويطعم المساكين منه، فلما مات بخلوا بحق الله فيه، ومنعوا الناس من خير هذا البستان، وأقسموا ليقطفن ثمره في الصباح الباكر، فيستأثرون به كله ولا يستثنون منه ما كان يستثنيه أبوهم، ولن يطعموا منه مسكينًا، فعاجلهم الله العقوبة فأهلك بستانهم واقتلع شجره وحرمهم ثمره.

ناقش

عن الصحابي أبي هريرة ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يجتمع شح وإيمان في قلب رجل مسلم» (رواه أحمد برقم ٧٤٨٠ وصححه محققو المسند).

- **لماذا** لا يجتمع الشح والإيمان في قلب المسلم؟
- **كيف** تؤثِّر الزكاة على الإيمان وتزيده؟

خلاصة

وعد الله سبحانه من أنفق في سبيله وأدى زكاة ماله بالإخلاف عليه وتعويضه بما أنفق بل والزيادة عليه، فمن صَدَّق بوعد الله تعالى وأنفق؛ تحقق إيمانه ونما، ومن بخل؛ ضعُف يقينه بالله ووعده، ولهذا نفى الحديث أن يجتمع الشح والإيمان في قلب رجل؛ لأنه لا بد وأن يغلب أحدهما الآخر، فإما مؤمن بالله ووعده فينفق بسخاء، وإما شحيح غير موقن بالإخلاف والزيادة التي وعد الله بها فيبخل ويُمسِك، ومن هنا يتأكد ما سبق ذكره من أن الإنفاق والصدقة -وأهمها الزكاة- برهان على صدق إيمان المسلم، بل تزيد إيمانه وتنمّيه كما تنمّي المال نفسه.

نشاط

يقول الله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ (التوبة: ١٠٣).

- في ضوء ما قرأته في الصفحات القليلة الماضية، لخِّص أثر الزكاة على المسلم في تطهير نفسه وزيادة ماله وإيمانه، واكتبه في بحث وشاركه مع زملائك.

أثر الزكاة على الآخذ والمجتمع

إذا كانت هذه بعض آثار الزكاة على المعطي، فما آثارها على الآخذ والمجتمع؟

تأمل معي في الجهات التي تصرف فيها الزكاة التي ذكرها الله سبحانه وتعالى بقوله: ﴿ ۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٦٠ ﴾ [التوبة: ٦٠]

إن الله سبحانه جعل للزكاة **ثمانية مصارف** تجد تفصيلها في كتب الفقه، **فارجع** إلى أحد كتب الفقه المبسطة لتطَّلع على تلك التفاصيل، لكنَّ الذي يناسب المقام هنا هو الكلام عن أول صنفين ذُكرا في الآية، وهما الفقراء والمساكين الذين لا يملكون ما يكفي احتياجاتهم في هذه الحياة. فلو تأملت أثر الزكاة عليهم لوجدته في كونها تحررهم من سقف الحاجات البسيطة الأساسية، فالزكاة التي تُؤخذ من أموال الأغنياء وتُعطى للفقراء والمساكين تنقذهم -بإذن الحكيم الخبير- من افتقاد أدنى متطلبات العيش الإنساني اليومي إذ لو بقي الإنسان محصورًا في تأمين لقمة عيشه التي تبقيه على قيد الحياة، فكيف له أن يفكر في عمل أو كسب يعالج به وضعه الصعب؟ وكيف له أن يؤدي وظيفته التي خُلِق من أجلها على هذه الأرض، من عبادة واستخلاف وعمارة وبناء؟

إنَّ سدَّ الحاجات الأساسية والملحة للفقراء والمساكين نتيجة مرجوة من نتائج الزكاة، لكنَّ الأمر لا ينبغي أن يقف عند هذا الحدِّ، فاليد العليا خير من اليد السفلى، والإسلام يريد لأبنائه العلوَّ والرفعة، فينبغي أن ينتقل المعطون من مستوى إعطاء الفقراء ما يسدون به حاجاتهم الأساسية، إلى مستوى توظيف أموالٍ تعين الفقراء على التحول إلى منتجين ومزكِّين، بتأمين أساس الأعمال لهم، أو بإطلاق مشاريع لهم من مال الزكاة، وبهذا يكون المجتمع قد قلّل عدد الفقراء المحتاجين، وحوّلهم من آخذين إلى مُعْطِين.

عد إلى كتاب «**العلاقات الاجتماعية**» من هذه السلسلة، واقرأ عن علاقة المسلم مع أفراد المجتمع.

نشاط

- **فكِّر** وابحث في أثر الزكاة على بقية الأصناف من آخذي الزكاة التي ذكرتها الآية ٦٠ في سورة التوبة.
- **شارك** نتائج البحث مع أصدقائك، وناقشها معهم، ثم اكتبوا قائمة توافقتم عليها جميعًا.

الزكاة مدعاة لنشر المحبة في المجتمع

إن مجموع آثار الزكاة على الآخذ والمعطي تشكل أثرًا عامًا ينعكس على المجتمع الإسلامي بأسره، في صورة من الحب والوئام الذي يظهر بين أفراد المجتمع ويضمن بقاءه واستقراره.

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ ١٧﴾ [الرعد: ١٧].

يقول الرازي في تفسيره عن أثر الزكاة: «إن الخلق إذا علموا في الإنسان كونه ساعيًا في إيصال الخيرات إليهم، وفي دفع الآفات عنهم؛ أحبوه بالطبع، ومالت نفوسهم إليه لا محالة، فالفقراء إذا علموا أن الرجل الغني يصرف إليهم طائفة من ماله، وأنه كلما كان ماله أكثر كان الذي يصرفه إليهم من ذلك المال أكثر؛ أمدوه بالدعاء والهمة، وللقلوب آثار وللأرواح حرارة؛ فصارت تلك الدعوات سببًا لبقاء ذلك الإنسان في الخير والخصب، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾».

ناقش

في ضوء المقالة السابقة

- **ما** أثر أداء الغني زكاة ماله على نفوس الفقراء؟
- **ما** انعكاس ذلك العطاء على الغني من جهة الفقراء؟
- **ما** العلاقة بين آية ﴿وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ﴾ وبين أثر الزكاة على مال الغني؟

مكانة الزكاة في الإسلام

الركن الثالث

بمجموع المعاني والآثار السابقة كلها، تظهر مكانة الزكاة في الإسلام، وأنها ثالث ركن في بنائه، بعد النطق بالشهادتين وإقامة الصلاة.

ولنذكر النصوص التي تؤكد لنا حقيقة هذا الأمر، فاقرأها معي بتدبر وتفكر: قال الله تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [البقرة:٤٣].

وقال رسول الله ﷺ: «ما من صاحب ذهب ولا فضة، لا يؤدي منها حقها، إلا إذا كان يوم القيامة، صفحت له صفائح من نار، فأحمي عليها في نار جهنم، فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره» (رواه مسلم برقم ١٧١٢).

وعن خليفة رسول الله ﷺ أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال: «والله لأقاتلن من فرّق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حق المال» (رواه البخاري برقم ٦٨٩٣).

إنّ ما نشاهده من مزيد عناية الإسلام بقضية الزكاة؛ حيث قرن القرآن الكريم ذكرها مع الصلاة في كثير من المواضع التي دعا فيها إلى الصلاة، فضلًا عن العذاب الأخروي الذي أعده الله تعالى لمانع الزكاة،

فيه دلالةٌ على مكانة الزكاة في الإسلام، فمن أنكر فرضيتها كفر ومن منعها أُجبر عليها وحُورب، وهو ما رأيناه فهمًا وقولًا وعملًا عند أبي بكر ﷺ -ووافقه عليه الصحابة- وذلك عندما حارب من رفض أن يؤدي الزكاة من بعض قبائل العرب بعد وفاة النبي ﷺ، فالصلاة والزكاة أكثر ما يبرزان ويؤكدان على هوية الأمة المسلمة وتمايزها عن غيرها من باقي الأمم، ولا سيما فيما تمثله الزكاة من عنصر أساسي ضمن نظام مالي اقتصادي إسلامي مغاير لما يقابله من النظم الاقتصادية الأُخرى.

نماذج مثالية للصدقة والجود

القصة الأولى

دخل النبي ﷺ على بلال رضي الله عنه، فوجد عنده صبرًا (أي كومة) من تمر، فقال: «ما هذا يا بلال؟» فقال: تمر أدخره، قال: «ويحك يا بلال، أو ما تخاف أن يكون له بخار في النار؟ أنفق يا بلال، ولا تخش من ذي العرش إقلالًا» (المعجم الأكبر للطبراني برقم ١٠٢٤ وصححه الألباني).

في ضوء ما تقدم من كون الزكاة والصدقة سببًا في نماء المال:

كيف تفهم قوله ﷺ: «ولا تخش من ذي العرش إقلالًا»؟

القصة الثانية

أصاب الناس قحطٌ في خلافة أبي بكر الصديق، فلما اشتد بهم الأمر جاءوا إلى أبي بكر الصديق وقالوا: يا خليفة رسول الله، إن السماء لم تمطر، والأرض لم تنبت، وقد توقع الناس الهلاك فما تصنع؟

فقال: انصرفوا واصبروا، فإني أرجو الله ألا تُمسوا حتى يفرج الله عنكم.

فلما أصبحوا خرجوا من بيوتهم على أصوات قافلة فلما ذهبوا يتلقونها، فإذا هي ألف بعيرٍ موثوقة بُرًّا وزيتًا ودقيقًا، فأناخت بباب عثمان، فجعلها في داره، فجاء إليه التجار، فقال: ما تريدون؟

قالوا: إنك لتعلم ما نريد. فقال: كم تُرْبِحُوني؟

قالوا: اللهم درهمين. قال: أُعْطِيتُ زيادة على هذا.

قالوا: أربعة. قال: أُعْطِيتُ أكثر.

قالوا: خمسة. قال: أُعْطِيتُ أكثر.

قالوا: ليس في المدينة تجارٌ غيرنا، فمن الذي أعطاك؟

قال: إنَّ اللّه أعطاني بكل درهم عشرة دراهم، واللّه يضاعف لمن يشاء، أعندكم زيادة؟

قالوا: لا.

قال: فإني أُشْهِدُكُم اللّه تعالى، أني جعلت ما حملت العِيرُ صدقة للّه على الفقراء والمساكين».

(الدر المنضود في ذم البخل ومدح الجود، للمناوي، ص١٨٧).

ناقش

- **ماذا** تفهم من هذه القصة؟
- **صف** إيمان عثمان بن عفان ﷺ ويقينه بموعود ربه.
- **اذكر** آية قرآنية تدل على ما ذكره عثمان بن عفان ﷺ من مضاعفة أجر الصدقة.

التقويم

١ اختر الإجابة الصحيحة:

أ- فُرِضَت الزكاة في السنة:

- ☐ الأولى للبعثة.
- ☐ الثانية للهجرة.
- ☐ الأولى للهجرة.
- ☐ الثانية للبعثة.

ب - فُرِضَت الزكاة في:

- ☐ المدينة المنورة.
- ☐ الطائف.
- ☐ خيبر.
- ☐ مكة.

ج - الزكاة في المعنى اللغوي هي:

- ☐ مقدار مخصص من المال.
- ☐ النماء والتطهير.
- ☐ العبقرية وسرعة البديهة.
- ☐ الصدقة.

٢ أجب بصح أو خطأ مع تصحيح الخطأ:

☐ النفس البشرية طُبِعَت على الكرم بفطرتها.

.....

☐ الزكاة في مرتبة دون مرتبة الصلاة بكثير.

.....

٣ علِّل ما يلي:

أ. الزكاة تُكسب الإنسان طبعًا ثانيًا.

.....

ب. الزكاة تنشر المحبة بين أبناء المجتمع الواحد.

.....

ج. قتال خليفة رسول الله أبي بكر الصدّيق ﷺ لمانعي الزكاة من بعض القبائل بعد وفاة النبي ﷺ.

.....

د. للزكاة أهمية اقتصادية كبيرة.

.....

الصيام في الإسلام

أهداف المحور

في نهاية المحور يتوقع أن يكون القارئ قادرًا على أن:

- يحدد مفهوم الصيام في الإسلام.
- يشرح حكمة الله تعالى في تشريع الصيام وأن يكون متصلًا شهرًا واحدًا في السنة.
- يوضح منزلة الصيام في الإسلام وحكمه بالنسبة للمسلم.
- يثمّن آثار الصيام في نفسه وعند انعكاسه على علاقاته وعلى الحياة الاجتماعية.
- يشرح الثمرات العملية للصيام على المدى البعيد.
- يستنبط دور الصيام في تربية المسلم بما يجعله مميزًا عن غيره من الناس.
- يذكر نماذج من سيرة الرسول ﷺ والصحابة رضي الله عنهم تبين علاقتهم بالصيام وثمراته في حياتهم.

تمهيد

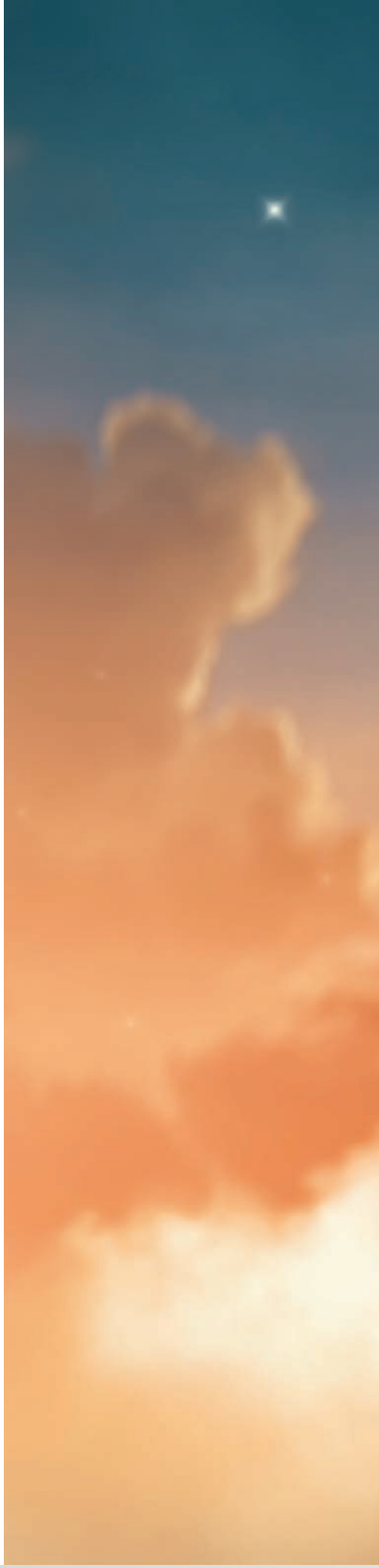

هدية الرحمن

والآن إلى الحديث عن الشهر المحبوب إلى قلبك وقلب كل مسلم، نعم إنّه الحديث عن شهر رمضان، شهر الصيام، فما هي قصة الصيام؟

المكان: المدينة المنورة.

الزمان: السنة الثانية للهجرة.

المناسبة: هدية الله سبحانه وتعالى لهذه الأمة بفرض الصيام عليها في شهر رمضان.

مكانة الصيام في الإسلام

تأمل معي هذا الحديث القدسي حيث يقول النبي ﷺ فيما يرويه عن رب العزة: «كل عمل ابن آدم له إلا الصوم، فإنه لي وأنا أجزي به» (رواه البخاري برقم ٥٩٢٧).

إن نسبة الله تعالى الصوم إليه فيه دلالةٌ على عِظَم مكانة الصوم، وهذه المكانة ناشئة من جعل الله تعالى الصوم بمثابة السِّرِّ بينه وبين عبده، لأن من أراد أن يأكل ويشرب دون أن يطلع عليه أحد من الخلق فعل.

وفي الحديث إشارة إلى عظيم جزاء الصيام وكثرة ثوابه؛ لأن الكريم إذا أخبر أنه يعطي ويجازي وأخفى مقدار العطاء فإنَّه يكون بمنزلة عالية تناسب كرمه.

تخيل لو أنّ صاحب مؤسسة أراد أن يكرم فريق العمل على إنجازٍ حققوه، ووجه مسؤول الموظفين لتكريمهم بجوائز معينة حددها لهم، إلا أنّه طلب أن يكون تكريم رئيس الفريق منه شخصيًّا ولم يخبر أحدًا بجائزته.

- **كيف** سيُفهم اختصاص صاحب المؤسسة بتكريم مدير فريق العمل؟
- **ما** قيمة الجائزة التي سيمنحها صاحب المؤسسة لمدير الفريق مقارنة مع باقي أعضاء الفريق؟
- تخيل أنك مكان مدير ذلك الفريق وأن صاحب الشركة كريم يقدّر الجهود، ما شعورك حينها؟
- في ضوء ما سبق، تخيل جزاء الصوم من رب العالمين أكرم الأكرمين، ولله المثل الأعلى.

إثراء

مفهوم الصيام في الإسلام

الإمساك والامتناع

إذا كانت تلك مكانة الصوم الكبيرة عند الله تعالى، فما هو الصوم الذي يستحق ذلك الأجر الكبير؟

الصوم في لغة العرب هو: الإمساك عن الشيء أو التوقف عن فعل شيء ما.

أما في الشرع فاقرأ معي بتأمل وتدبر النصوص الآتية: يقول الله تعالى في الحديث القدسي: «الصَّوْمُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، يَدَعُ شَهْوَتَهُ وَأَكْلَهُ وَشُرْبَهُ مِنْ أَجْلِي» (رواه البخاري، برقم ٧٤٩٢).

ويقول الله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾ [البقرة: ١٨٧].

ويقول ﷺ مفسرًا: «الخيط الأبيض والأسود إِنَّمَا هُوَ سَوَادُ اللَّيْلِ، وَبَيَاضُ النَّهَارِ» (رواه مسلم برقم ١٠٩٠).

ويقول ﷺ: «إذا غابت الشمس من ها هنا، وجاء الليل من ها هنا، فقد أفطر الصائم» (رواه مسلم برقم ١٩١٩).

إن مجموع هذه النصوص يوضح أن معنى الصيام في الشرع هو: الإمساك عن الطعام والشراب والجماع من طلوع الفجر إلى غروب الشمس، وتفاصيل أحكام الصيام يمكن معرفتها بالعودة إلى كتب الفقه الإسلامي.

ولعلك تسأل: كيف للإمساك عن تلك الأشياء في تلك المدة أن يترك أثرًا إيجابيًّا في النفس، مع كونها أساس الوجود الإنساني ويشق على النفس الامتناع عنها؟

ارجع إلى كتاب «**كيف أتعلم الإسلام؟**» من هذه السلسلة ، وتعرف أكثر على أولويات التعلم في الإسلام.

أسرار الصيام
وآثاره وثمراته العملية

تأمل معي قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣﴾ [البقرة: ١٨٣].

وتفكر معي في حديث النبي ﷺ: «كل عمل ابن آدم يضاعف، الحسنة عشر أمثالها إلَى سبعمئة ضعف، قال الله عز وجل: إلا الصوم، فإنه لي، وأنا أجزي به، يدع شهوته وطعامه من أجلي» (رواه مسلم برقم ١١٥١).

التقوى ثمرة الصيام

إنّ مفهوم التقوى يتحدد في أن يجعل المسلم **وقايةً بينه وبين غضب الله وسخطه**؛ وذلك بطاعته سبحانه وتعالى، باتّباع أوامره واجتناب نواهيه وزواجره.

لقد علّلت آية البقرة فرضية الصيام ببيان فائدته الكبرى، وحكمته العليا، و هي أنّه يعين الصائم على تقوى الله عز وجل بترك شهواته الطبيعية المباحة امتثالاً لأمره، واحتسابًا للأجر عنده، وبذلك تتربى إرادته على ترك الشهوات المحرمة والصبر عنها، فيكون اجتنابها أيسر عليه؛ نظرًا

لكونه ترك ما هو أصعب منها وهو مباحٌ أصلًا -أي الطعام و الشراب وجماع الزوجة- وهذا الترك للمباح إنّما كان بعلم الله تعالى ومراقبته، فهو وحده الذي يعلم إن كان هذا الإنسان قد ترك الطعام والشراب حقًّا، أم أنه أكل خلسةً بعيدًا عن أعين الناس، فهذه المراقبة لله تعالى تعطي الإنسان قدرة على بناء حاجز بينه وبين كلِّ ما حرَّم الله تعالى؛ وبذلك يكون الصوم موصلًا للتقوى.

ناقش

جاء في حديث للنبي ﷺ قوله: «الصوم جُنّة» (رواه البخاري برقم ٧٤٩٢).

- **عد** إلى أحد شروح الحديث، **وبين** العلاقة بين قوله: «جُنّة» وبين معنى التقوى.

ارجع إلى كتاب «أعمال القلوب» من هذه السلسلة، واقرأ فيه عن علاقة أعمال الجوارح -ومنها الصيام- بقلب الإنسان.

الصيام دروس تأهيل وتربية للمسلم

كما أن للصوم أثرًا على العلاقة بين المسلم وربه، فكذلك له أثر كبير على سلوك الإنسان بشكل شخصي، أثرٌ ينهض بشخصية الإنسان المسلم إلى مستوًى يميزه عن غيره من الناس.

تأمل معي: عن الصحابي أبي هريرة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**صوم شهر الصبر، وثلاثة أيام من الشهر صوم الدهر**» (رواه أحمد برقم ٧٥٧٧ وإسناده صحيح).

الصوم يُعوِّد الصبر

إن الصيام مدرسة تربوية عظيمة، فالصبر بأنواعه المتعددة -والذي يعتبر من أهم المهارات الأساسية التي يجب أن تكون عند الإنسان والمسلم خصوصًا- لا سبيل للإنسان لتحقيقه والتحلي به إلا بالتدريب، **والصوم** تدريب عملي على الصبر، وذلك أنه قد خبر بالصوم معنى تحمل المشقة في ترك الطعام والشراب لساعات طويلة في مختلف الظروف والفصول والأيام، وصبر على أداء الطاعة واستمر بها.

هذا الصبر من أهم ما يحتاجه الإنسان المسلم في هذه الدار الدنيا، التي هي دار اختبار وابتلاء، والتي يشكل الصراع فيها بين الحق والباطل جزءًا أساسيًّا منها ومن تكوينها، ولذلك كان التمسك بالمبادئ الصحيحة والتواصي بالصبر على ذلك ضرورةً للفوز والغلبة في ذلك الصراع، لا سيما عند سقوط كثيرين بسبب الشهوات والمغريات.

والصيـام مدرسـة مهمـة للصبـر، حيـث يحصـل فيهـا المسـلم علـى تلـك القـوة التـي تعينـه علـى المضـي فـي هـذه الـدار؛ ليواجـه طبيعتهـا وصراعاتهـا وفـق مـا يحبـه اللّٰه تعالـى ويرضـاه.

أنواع الصبر ثلاثة:

- صبـر علـى البـلاء وهـو: منـع النفـس عـن التسـخط والهلـع والجـزع عنـد المصائـب.
- صبر على الطاعة وهو: المحافظة والدوام عليها.
- صبر عن المعاصي وهو: كف النفس عنها.

الصوم يعوِّد التوازن

إذا كان لا بـد للمسـلم أن ينحـاز للحـق فـي معركـة الحـق والباطـل، فـإن مـن الواجـب عليـه أن يكـون متوازنًـا بيـن طرفـي النظـام والحريـة، وهـو أيضًـا مـا يعتبـر مـن ثمـرات الصبـر التـي ينالهـا الإنسـان بالصـوم.

خلاصة

يتعلـم المسلم من عبادة الصوم الحرية والنظام؛ أما الحرية، فيتحرر من العبودية للشهوات المباحة والعادات المستحكمة، ويشعر بثقة واعتزاز بنفسه، ويحسُّ أنه حرٌّ طليق.

وأمّـا النظام ففي كونه يفطر في وقت محددٍ، ويمسك عن الطعام في وقت محدد، وهو ما يظهر أثره في المجتمع كله؛ إذ إنّ المجتمع كله يتجلى فيه هذا النظام، مما ينعكس إيجابًا على ثقافة إدارة الوقت، وعلى كفاءة الإنسان في التوازن بين الحرية والنظام .

الصيام من أجل تغيير العادات

أثر الصوم لا يظهر فقط في إكساب الإنسان عادة جيدة، بل وفي كسر نظام العادات السيئة التي كان قد ألفها واعتاد عليها أثناء السَّنة، ويجد صعوبة بالغة في تغييرها والتخلي عنها، فيأتي الصوم بما يفرضه من أوامر ونواهٍ وما يفرزه من نظامٍ يومي، ليجبره على كسر ذلك النمط من العادات.

ناقش

- **كيف** يمكن لـ «شهر رمضان» أن يسهم في تخلّي الإنسان عن عادة سيئة، أو اكتساب عادة جيدة؟
- **هل** كان للصيام أن يحقق ذلك الأثر في تعديل السلوك لو أنّه لم يكن مفروضًا في شهر واحدٍ متتالي الأيام؟

خلاصة

إنّ العادة أمرٌ لا انفكاك للإنسان عنه، وهي من أكثر الأمور التي تحكم الإنسان على مستوى سلوكه الشخصي، وشهر رمضان -بما يحمله من معنى الصبر، وما يفرزه من نظام يومي خاص، على مدى ثلاثين يومًا تقريبًا- يمثل مجالًا خصبًا لتعديل السلوكيات، إزالةً أو اكتسابًا أو تهذيبًا، وهو سرٌ من أسرار فرض الصوم في شهر كاملٍ متتالي الأيام، وليس في أيام موزعة على شهور السنة.

نشاط

اكتب مقالة عن أثر الصوم في اكتساب العادات الحميدة وكسر العادات الذميمة وكسر عادة التسويف، شارحًا الكيفية بشكل موسع، على ضوء ما مر معك سابقًا، وشارك ذلك مع أصدقائك عبر وسائل التواصل الاجتماعي.

ثمرات الصيام في الآخرة

ما سبق كلّه في الدنيا، أما على المستوى الأخروي، فأحضر قلبك معي، واسمع إلى عظيم أجر الصائم الذي يرويه حبيبنا ﷺ حين يبشرنا بقوله: «للصائم فرحتان: فرحة حين يفطر، وفرحة حين يلقى ربه، ولَخَلوف (أي: رائحة) فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك» (رواه البخاري برقم ٧٠٩٤).

نصَّ الحديث الشريف أن للصائم فرحتين، إحداهما في الدنيا والأخرى في الآخرة، فقوله ﷺ «فرحة عند فطره» تعني ذلك الفرح الطبيعي الذي يحصل للإنسان بالأكل والشرب بعد الجوع والعطش، وقد يكون فرحه بتمام العبادة وتيسيرها، وأما الثانية «وفرحة عند لقاء ربه»؛ أي بنيل الجزاء الكبير للصوم الذي سيعطيه الله سبحانه وتعالى للصائم يوم القيامة.

نشاط

اذكر حديثًا آخر يتحدث عن الثواب الأخروي للصوم غير ما سبق.

علاقة الرسول ﷺ والصحابة رضي الله عنهم بالصيام

القصة الأولى

يقول الصحابي الجليل أبو الدرداء رضي الله عنه:

«لقَدْ رَأَيْتُنَا مع رَسولِ اللهِ ﷺ في بَعْضِ أَسْفَارِهِ في يَومٍ شَدِيدِ الحَرِّ، حتَّى إنَّ الرَّجُلَ لَيَضَعُ يَدَهُ علَى رَأْسِهِ مِن شِدَّةِ الحَرِّ، وَما مِنَّا أَحَدٌ صَائِمٌ، إلَّا رَسولُ اللهِ ﷺ وَعَبْدُ اللهِ بنُ رَوَاحَةَ» (رواه مسلم برقم ١١٢٢).

فهنا نرى حرص النبي ﷺ على الصوم في أصعب الظروف، وما هذا إلا ابتغاء رضا الله عز وجل، وتعظيمًا منه ﷺ لهذه العبادة.

القصة الثانية

استمع معي إلى عجيب تلك لقصة، يقول الصحابي الجليل عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ: «أُخبِرَ رسول الله ﷺ أني أقول: والله لأصومنَّ النهار، ولأقومنَّ الليل ما عشت، فقلت له: قد قلته بأبي أنت وأمي قال: «فإنك لا تستطيع ذلك، فصم وأفطر، وقم ونم، وصم من الشهر ثلاثة أيام، فإن الحسنة بعشر أمثالها، وذلك مثل صيام الدهر»، قلت: إني أطيق أفضل من ذلك، قال: «فصم يومًا وأفطر يومين»، قلت: إني أطيق أفضل من ذلك، قال: «فصم يومًا وأفطر يومًا، فذلك صيام داود عليه السلام، وهو أفضل الصيام»، فقلت: إني أطيق أفضل من ذلك، فقال النبي ﷺ: «لا أفضل من ذلك» (رواه البخاري برقم ١٩٧٢).

فهذه نماذج ومواقف للنبي ﷺ ثم صحابته لها دلالاتها الكبيرة والكثيرة، **وأبرزها تأكد تعظيمهم لهذه العبادة، وطمعهم في المرتبة العالية والأجر الكبير عليها عند لقاء الله تعالى.**

التقويم

١ اختر الإجابة الصحيحة:

أ - فُرِضَ الصوم في السنة:

- ☐ الثانية للهجرة .
- ☐ الثانية للبعثة .
- ☐ الرابعة للهجرة .
- ☐ الرابعة للبعثة .

ب - فُرِضَ الصوم في:

- ☐ مكة .
- ☐ المدينة .
- ☐ قباء .
- ☐ الطائف .

ج - الصوم في اللغة يعني:

- ☐ الدعاء .
- ☐ النماء .
- ☐ التطهير .
- ☐ الإمساك .

د- منشأ العادة يكون:

- ☐ الفطرة .
- ☐ الصدفة .
- ☐ التكرار .
- ☐ كل ما ذكر صحيح .

٢ أجب بصح أو خطأ مع تصحيح الخطأ:

☐ شهر الصبر يقصد به شهر رجب.

.....

☐ التقوى تعني «القوة».

.....

☐ يبدأ الصيام بشروق الشمس، وينتهي بغروبها.

.....

☐ الصيام في التشريع هو ترك الطعام والشراب والجماع.

.....

٣ علِّل ما يلي:

أ- الصيام يُعوِّد الصبر.

.....

ب - الصيام يعلم الإنسان التوازن بين «الحرية» و «النظام».

.....

ج - من حكمة الله تعالى أن جعل الصوم شهرًا كاملًا.

.....

د- التقوى ثمرة الصيام.

.....

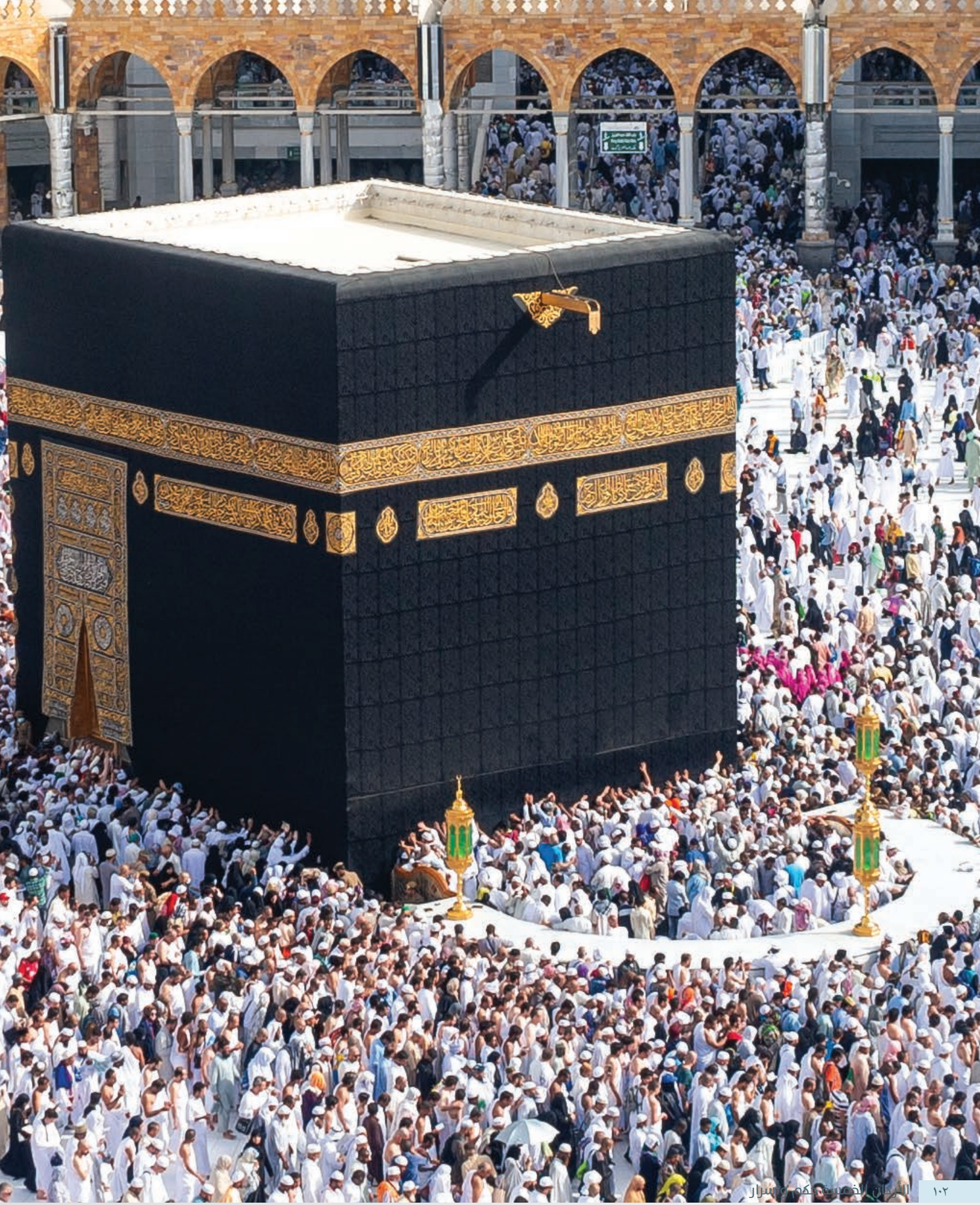

الحج في الإسلام

أهـداف المحور

في نهاية المحور يتوقع أن يكون القارئ قادرًا على أن:

- يحدد مفهوم الحج في الإسلام.
- يشرح حكمة الله تعالى في تشريع الحج وأنه مرة واحدة في العمر.
- يوضح منزلة الحج في الإسلام وحكمه بالنسبة للمسلم.
- يثمّن آثار الحج في نفس المؤمن.
- يشرح الثمرات العملية التي أثمرها الحج إنْ كان قد أدى الفريضة.
- يستنبط دور الحج في التربية للمسلم وما يتميز به الحاج عن غيره من الناس.
- يذكر نماذج من سير الصحابة لبيان آثار وثمرات الحج في حياتهم.

تمهيد

قصة الحج

المكان: المدينة المنورة.

الزمان: السنة التاسعة للهجرة.

المناسبة: تعظيم البيت الحرام وإحياء سنة الخليل عليه السلام.

اقرأ معي بتمعن هذه الآيات:

قال الله عز وجل: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ (آل عمران: ٩٧).

وقال جل وعلا: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ﴾ (البقرة: ١٩٧).

وقال سبحانه: ﴿۞ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ﴾ (البقرة: ١٥٨).

مفهوم الحج
وحكمة تشريعه ومكانته

الحج في لغة العرب يأتي بمعنى القصد، وهو في التشريع قصد زيارة مكة والكعبة المشرفة، في أَشهُر معينة من السنة، هي شوال وذي العقدة وذي الحجة، لأداء أفعال مخصوصة بتلك الزيارة مأخوذة من فعل النبي ﷺ.

تُسمى هذه الأفعال (مناسك الحج)، وقد دونت تفاصيلها لاحقًا في كتب الفقهاء.

الحج واجب في العمر مرة

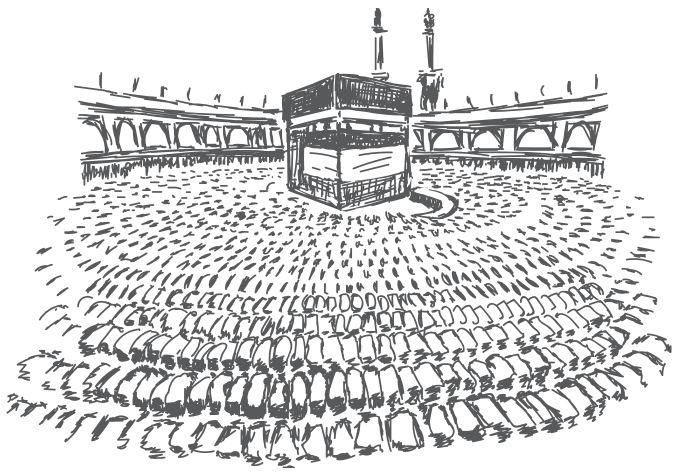

فرض الله سبحانه وتعالى الحج مرة واحدة في العمر على المسلم المستطيع والقادر عليه جسديًا وماديًا، فإذا كان كل ما ذكرناه من أركان الإسلام سابقًا قد طبع بطابع التكرار، كالصلاة في كونها يوميَّة، والصيام والزكاة في كونهما مرة كل سنة، فإنَّ الحج قد فُرِض مرةً واحدةً في العمر كله، لكونه أكثر العبادات مشقة وجهدًا،إلا أنّ هذا الجهد يتناسب مع أثر الحج على الإنسان، حيث إنه يعيده إلى حال كلحظة ولادته الأولى!

مكانة الحج في الإسلام

عن أبي هريرة ﷺ، قال: سئل النبي ﷺ أي الأعمال أفضل؟ قال: «إيمان بالله ورسوله» قيل: ثم ماذا؟ قال: «جهاد في سبيل الله» قيل: ثم ماذا؟ قال: «حج مبرور» (رواه البخاري برقم ٢٦).

وعنه ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة» (رواه البخاري برقم ١٧٣).

للحج مكانة عظيمة في الإسلام، حيث إنه الركن الخامس من أركانه، وهو مدرسة يتربى فيها المسلم على طاعة الله سبحانه، والتجرد له، والخروج من شهوات النفس ومتع الدنيا وزخارفها، ومفارقة الديار والأهل والأحباب وقصد بيت الله الحرام، فهو هجرة إلى الله تعالى، واستجابة لدعوته التي أمر خليله إبراهيم عليه السلام أن يؤذِّن بها في الناس، كما قال سبحانه: ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾﴾ [الحج: ٢٧].

فمن استجاب للنداء وهجر أهله وديارهوشهوته إلى بيت الله، وسَلِمت هجرته تلك من الرياء، ولم يخالطها شيء من الإثم؛ كان حجه مبرورًا واستحق الجنة جزاء عليه، ومن هنا كان للحج تلك المكانة العظيمة والأجر الكبير؛ لأنه هجرة صغرى تعدل جهادًا أصغر.

أسرار الحج
وآثاره وثمراته العملية

كون الحج جهادًا صعبًا على النفس والبدن، يجرُّنا للحديث عن آثار الحج على النفس الإنسانية، ابحث في شبكة الإنترنت عن مقطع مرئي عن الحج **وتأمل فيه جيدًا:**

- **ما** اللون الغالب الذي تشاهده في هذا التسجيل عند تتابع مناسك الحج؟
- **لماذا** غلب اللون الأبيض على الحجيج؟
- **لماذا** لا يرتدي الرجال في الحج ثيابهم المعتادة في حياتهم؟
- **ما** دلالة توحيد لباس الرجال في الحج؟

ثياب الإحرام شعار للوحدة

يخلع المسلم في الحج ملابسه المعتادة، بما تعكسه من وضعه المالي، ومرتبته الاجتماعية والوظيفية، وبما تعبر عنه من الانتماء لثقافة محددة وبلدٍ ما، لأنه لو بقي بتلك الملابس لبقي ملتصقًا بدنياه، ملتصقًا بانتمائه و بما يظنه -بحكم الألفة- مكانته الحقيقية.

فالإسلام -ولحكمة كبيرة جدًّا- شرع الثياب الواحدة في الحج؛ ليكون شكل الجميع واحدًا، فتختفي الهوية الخاصة لكل قوم أو شعب، ويظهرون في كيان واحد، تحت هويّة واحدة، هي هويتهم الأصلية، أنهم عبيد لله تعالى لا فرق فيهم بين عربي وأعجمي ولا أبيض ولا أسود ولا غني ولا فقير، إلا بالتقوى.

أما لباس المرأة فلا يتغير في الحج؛ لأنّ الشرع -بما ارتضاه لها من صفات في اللباس- أعطاها مكانة كبيرة حين جعل ملابسها معبّرة عن تلك الهوية في جميع أيام السنة، وليس في الحج فحسب.

إن ثياب الحج البيضاء لا تُذكِّر بحقيقة العبودية لله تعالى فحسب، بل كذلك بحقيقة الموت، وكوننا جميعًا سائرين إلى لحظة لن نكون فيها في هذه الحياة، وسيلبسوننا الكفن الأبيض، ونُوارى الثَّرى.

ودلالة الثياب على هذه الحقيقة ليست دلالة سلبية، بل هي تذكير بأنه ما زال هناك من الوقت ما يكفي لتجعل من حجِّك استدراكًا لما مضى من حياتك، فتكون بعد الحج مؤهلًا إلى نيل رضا الله تعالى حين تدخل تلك الحفرة، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم!

ناقش

عن الصحابي عبد الرحمن بن يعمر ﷺ أن ناسًا من أهل نجد أتوا رسول الله ﷺ وهو بعرفة فسألوه، فأمر مناديًا، فنادى: «الحج عرفة، من جاء ليلة جمع قبل طلوع الفجر فقد أدرك الحج، أيام منى ثلاثة، فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه، ومن تأخر فلا إثم عليه» (رواه الترمذي برقم ٨٨٩ وصححه الألباني).

- **وفق** ما أخبرنا حبيبنا محمد ﷺ في هذا الحديث: **ما** قيمة الوجود في منطقة عرفة؟
- **ما** دلالة تعريف النبي ﷺ الحج بكونه إدراك يوم عرفة؟

التعرف على النفس وخالقها

للوقوف بعرفة مكانته العظيمة في أفعال الحج؛ إذ إنَّ الإنسان لو فعل سائر أفعال الحج الأخرى ولم يقف بعرفة؛ لم يصح منه الحج.

والحديث عن عرفة حديث مهم ونافع وكبير، فعرفة هو يوم اكتمال الدين وإتمام النعمة، وعرفة يوم العتق من النيران، وعرفة يوم مغفرة الذنوب وإجابة الدعوات.

وفي عرفة يتعرَّف الإنسان على حقيقته؛ على ضعفه، على عجزه وافتقاره إلى ربه، يشترك في ذلك الغني والفقير، الرئيس والمرؤوس، فكلنا إذا ما بسطنا حاجاتنا وطلباتنا وسألنا الله تعالى وجدنا أنفسنا نشترك بحقيقةٍ واحدة، هي حقيقة ضعفنا أمامه سبحانه، وحاجتنا إليه في كل أمورنا، وأعظمها حاجتنا إليه ليغفر لنا معاصينا وذنوبنا ﴿وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ (آل عمران: ١٣٥).

وفي عرفة يتعرف الحاج إلى الشخص الجديد الذي عاهد الله سبحانه وتعالى أن يكون عليه في المستقبل، بعد غروب شمس يوم عرفة!

خلاصة

نشاط

لرمي الجمرات في الحج علاقة بسيدنا إبراهيم عليه السلام، ارجع إلى كتاب قصص الأنبياء لابن كثير وبيِّن هذه العلاقة.

رمي الجمرات إعلان للإيمان ومراغمة للشيطان

من أعمال الحج (**رمي الجمرات**)، وهو رمي للحصى في أماكن محددة بعدد محدد، وفي رمي الجمرات تظهر رمزية المواجهة بين الإنسان والشيطان، فالرمي إرغام وإذلال للشيطان، كما جاء في الحديث أن الشيطان عرض لخليل الرحمن إبراهيم عليه السلام في ذلك المكان الذي نرمي إليه فرماه بالحصى (مسند أحمد ٤/٢٨٤، وصححه أحمد شاكر).

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في تفسيره (أضواء البيان): «فكان الرمي رمزاً وإشارة إلى عداوة الشيطان التي أمرنا الله تعالى بها في قوله: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾».

فنحن نرمي الحصى إرغامًا للشيطان، مع علمنا بما أخبرنا به حبيبنا محمد ﷺ: «إن الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم» (رواه البخاري برقم ٢٠٣٨)، وهذا يعني أن مواجهتنا الحقيقية وأن ميدان رمينا وتصويبنا الحقيقي، هو في ذواتنا، وأننا بينما نرمي الحصى بأيدينا بعيدًا، فكأنها في الوقت نفسه تسقط على ضعفنا، وكسلنا، وأنانيتنا، وغرورنا، وانسياقنا خلف شهواتنا.

لقد ظهر الشيطان لإبراهيم عليه السلام في عدَّة مواضع، وكذلك يظهر لنا؛ فتارة في معاملة مالية محرّمة فيها ربح كبير، وتارة بنصرة ظالم أو إعانته، وتارة عندما يغرينا بالكسل وفعل «لا شيء»، ويتعدد ظهوره لنا وتمتد وساوسه طول العمر، ولعل هذا ما يفسر لنا أن يومًا واحدًا من رمي الجمرات في الحج لا يكفي لمراغمته ومجاهدته؛ فكان تكراره ثلاث مرات في كل مرة سبع حصيات، تعبيرًا عن تلك الاستمرارية في المواجهة.

خلاصة

اقرأ كتاب «**كيف أتعلم الإسلام؟**» من هذه السلسلة لمعرفة الأمور التي لا يسع المسلم جهلها من أحكام دينه.

إثراء

من خلال التصور العميق لحقيقة الرمي، وما فيه من إقامة ذكر الله وترغيم الشيطان، وما مر بك من إشارة إلى تعرضه لخليل الرحمن إبراهيم عليه السلام ورميه له بالحصى، استلهم حوارًا قصيرًا بينك وبين الشيطان، تصوِّر فيه مجاهدتك الأهواء والشهوات، وشاركه مع أصدقائك.

الحج درس عظيم لإعادة تأهيل المسلم وتربيته لبداية جديدة

الحج ولادة جديدة

ما تحدثنا عنه في ثمرات الحج على النفس، يترك في مجمله أثرًا تربويًّا كبيرًا على الإنسان، يجعله يتميّز بحق عن غيره ممن لم ينل شرف خوض تلك التجربة.

إن أول ما يتبادر للذهن عند قول «تربية»، هو دور الأم والأب اللذين يرتبطان بهذا المفهوم أشد ارتباط، حتى لا يكاد يقال: تربية فلان حسنة أو سيئة، إلا ويُسأل عن أم ذلك الشخص وأبيه.

والحج يمتد أثره التربوي إلى درجة أكبر من مجرد تعديل السلوك القائم على توجيهات من الأم والأب؛ إذ إن الحج عملية تصفية كاملة من الشوائب والذنوب والسيئات، بل إنه ولادة جديدة، بشهادة النبي ﷺ في قوله: «**مَنْ حَجَّ هَذَا البَيْتَ، فَلَمْ يَرْفُثْ، وَلَمْ يَفْسُقْ، رَجَعَ كَمَا وَلَدَتْهُ أُمُّهُ**» (رواه البخاري برقم ١٧٣٧).

فالحج المبرور ولادةٌ جديدة؛ بتكفير الذنوب جميعها، بنظراتٍ جديدة تجاه نفسك الجديدة التي عاهدت الله سبحانه وتعالى أن تكون عليها، بخبراتٍ جديدة حصلت لك بتعاملك مع أولئك الناس الذين شاهدتهم وقد جاؤوا من مختلف بقاع الأرض في أيام الحج.

الرفث: الجماع ومقدماته القولية والفعلية.

نموذج من حب الصحابة رضي الله عنهم لركن الحج وأثره عليهم

روى العلامة ابن كثير في كتابه البداية والنهاية (٥٣٥/٩) قصة مفادها أن أشهر قائد عسكري من الصحابة -وهو خالد بن الوليد ﷺ- حج مرة بطريقة عجيبة؛ ففي السنة الثانية عشرة للهجرة، وبعد النصر في إحدى المعارك في جهة العراق، اشتاق قلبه لبيت الله الحرام، وإلى تأدية فريضة الحج، ولكن كيف يحج وهو قائد الجيش؟! إنه لو أرسل في طلب الإذن من الخليفة أبي بكر الصديق ﷺ بأن يولي نائبًا له بينما يحج لم يرجع الرسول إلا وقد فات الحج، فقرر أن يحج متخفيًّا من غير أن يُعلِم أبا بكر ﷺ فأمر جيشه بالعودة إلى الحِيْرَة، وتظاهر بأنه سائر في مؤخرة الجيش.

الحِيْرَة: مدينة في العراق .

وحتى لا يُضيع أيامًا كثيرة في رحلته السريعة للحج سلك دروب الصحراء، فبدأ رحلته إلى مكة ومعه عدد من أصحابه، ولما أدَّى فريضة الحج عاد إلى مدينة الحيرة ولم تستغرق غيبته على الجند إلا مدة يسيرة، فما وصلت إلى الحيرة مؤخرة الجيش حتى وافاهم خالد مع أصحابه وقد حلقوا رؤوسهم بعد أدائهم الحج.

هؤلاء قوم تعلقت قلوبهم بالحج تلبية لربهم، وما فِعلهم هذا ولا شوقهم للحج إلا ثمرة لما عاشوه وعاينوه من آثار تلك المناسك على نفوسهم وسلوكهم، وحرصًا منهم ألا يضيع عليهم شيء من تجليات تلك الثمرات التي يفيضها عليهم خالقهم ومولاهم رب العالمين.

التقويم

١ اختر الإجابة الصحيحة:

أ- فُرِضَ الحج في السنة:

- ☐ الثانية للهجرة .
- ☐ الثانية للبعثة .
- ☐ التاسعة للهجرة .
- ☐ التاسعة للبعثة.

ب - فُرِضَ الحج في:

- ☐ مكة .
- ☐ المدينة .
- ☐ قباء .
- ☐ الطائف .

ج - الحج في اللغة يعني :

- ☐ الدعاء .
- ☐ النماء .
- ☐ القصد .
- ☐ الإمساك .

د - الحج في التشريع يشمل زيارة:

- ☐ المسجد الأقصى .
- ☐ المسجد النبوي .
- ☐ الكعبة المشرفة .
- ☐ مسجد قباء .

٢ أجب بصح أو خطأ مع تصحيح الخطأ:

☐ الحج واجب مرة واحدة كل سنة.

.....

☐ الحج جائز في أي يوم من أيام السنة.

.....

☐ رمي الجمرات يكون يوم واحدًا فقط.

.....

☐ الوقوف في عرفة فعل ثانوي من أفعال الحج.

.....

٣ علِّل ما يلي:

أ- قول النبي ﷺ «الحج عرفة».

.....

ب- الحج ولادة جديدة.

.....

ج - المرأة في الحج تبقى على لباسها الشرعي الذي ترتديه طوال العام.

.....

د- رمي الجمرات يرمز إلى أشياء أبعد من ظاهرها.

.....

أهمية أركان الإسلام في بناء المسلم

أهـداف المحور

في نهاية المحور يتوقع أن يكون القارئ قادرًا على أن:

- يستنتج طريقة بناء العبادة للفرد والمجتمع.
- يستنتج الرباط الوثيق الذي تحققه العبادة بين العباد وربهم.
- يكتشف أن العبادة إكرام من الله لعباده المؤمنين.

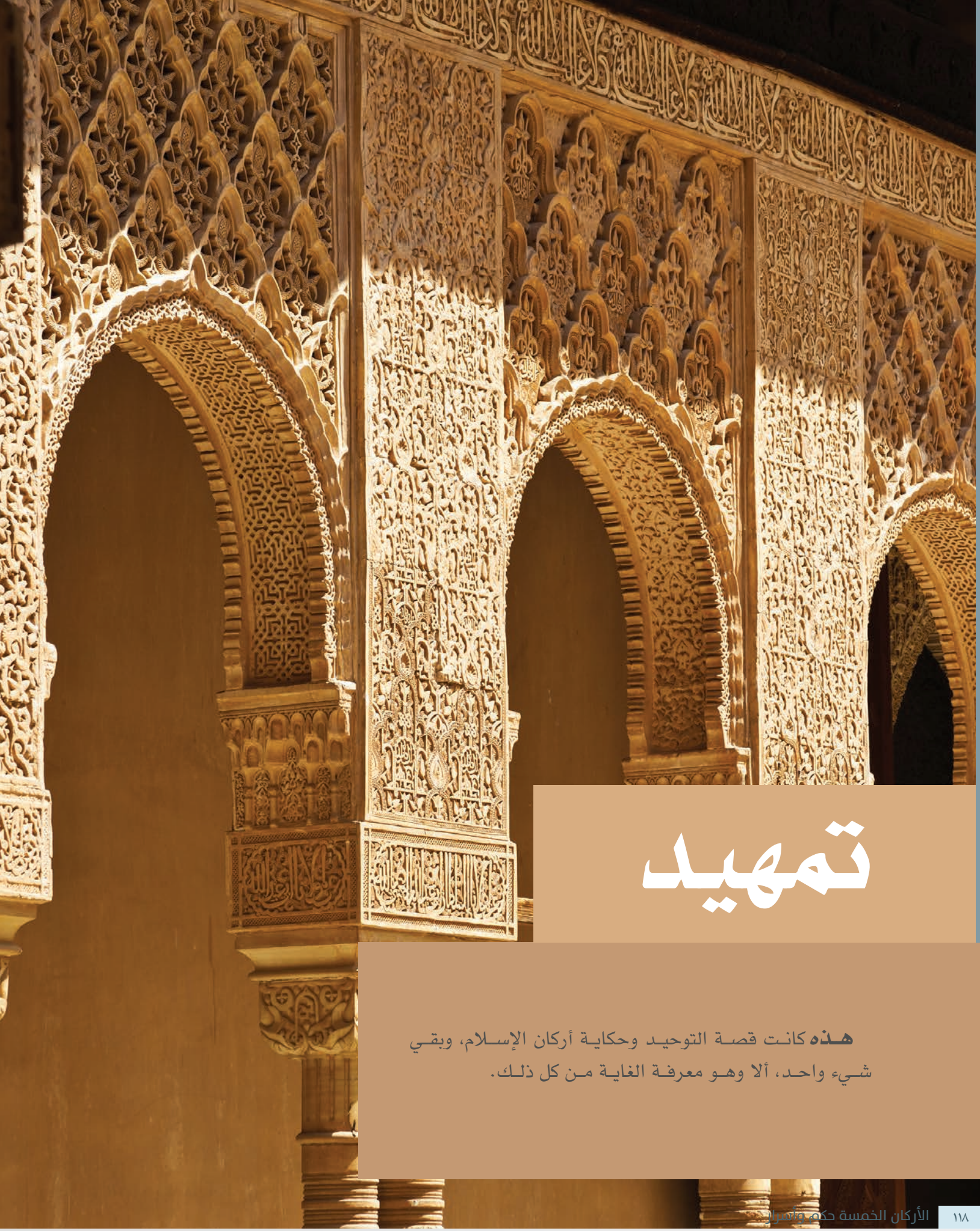

تمهيد

هـذه كانـت قصـة التوحيـد وحكايـة أركان الإسـلام، وبقـي شـيء واحـد، ألا وهـو معرفـة الغايـة مـن كل ذلـك.

إثراء

تخيـل أنّ كل هواتف العالم الأرضية والخلوية تعطلت، وأنّ كل الاتصالات السلكية واللاسلكية انقطعت، وأن جميع المحطّات الفضائية والأرضية والإنترنت قد توقفت، فكل ما يتعلق بأيّ شكل من أشكال الاتصال قد توقف لمدة قصيرة عن العالم بأكمله.

- **ماذا** سيحدث في العالم؟
- **أيُّ** فوضى، أي ضياع، أي إحباط؟!
- **تخيل** لو امتدت هذه الحال سنة كاملة ولم يعلم لها سبب!
- **أي** انهيار اقتصاديٍّ واجتماعيٍّ وسياسيٍّ يمكن أن نتعرض له نحن البشر الذين نعيش في هذا القرن؟!

يكفينـا أن نعلم أن الانقطاع لو كان في الاتصالات بين الطائرات والأبراج المخصصة لمراقبة الطائرات فحسب، لأدى ذلك إلى إزهاق أرواح أناسٍ يصعب تخيل عددها، ولأدى إلى شلل حركة المطارات في العالم، ولانفجر عن ذلك أزماتٌ وتداعيات لا تُحصر.

إن تخيلت هذه الآثار، فإن أثر انقطاع الإنسان عن خالقه أشد من الأثر في المثال السابق، ولله المثل الأعلى.

العبادة في الإسلام

تربط العباد بربهم بأوثق رباط

إنّ الدور الذي تمثله العبادات في حياة الإنسان المسلم، أهمُّ بكثير من الدور الذي تمثله وسائل الاتصالات بمختلف أشكالها للجنس البشري، فالعبادة في الإسلام هي بمثابة تلك الاتصالات، إلا أنها اتصال بمن خلق الأرض والسماوات كلها جميعًا، وهو سبحانه الغني عنها، إنه اتصال بمصدر الوجود كله، والقوة جميعها، والعطاء كله، بل إنها توصل إلى أبعد مما هو مجرّد اتصال؛ إلى جعل تلك العبادات سبيلًا لنيل محبته سبحانه وتعالى، وتلك مرتبة لا يمكن للعقل أن يدرك آثارها.

تخيّل أنك حظيت بمحبة أغنى وأكرم رجلٍ في العالم.

فأي مكاسب ستُغدق عليك وأنت على هذه الحال؟

تخيّل الآن أنّ ملك الملوك جل وعلا هو الذي يحبك، بل ويزداد حبًّا لك ورضًى عنك في كل مرّة تتقرب إليه بعبادة من العبادات التي افترضها أو استحبها.

فأيُّ كرم وأيّ هِبَات ستنالها بسبب تلك الصلة وهذا التقرب؟

فحريٌّ بنا إذا وجدنا في أنفسنا ضعفًا، أو تكاسلًا، أو إجهادًا من تلك العبادات، أن نُذَكِّرها بثمرات تلك الصلة، وما تمثله تلك العبادة من علاقة وما تفيض علينا من آثار؛ حتى تندفع إليها أنفسنا بكل محبة ولهفة.

ناقش

يقول الله جل وعلا في الحديث القدسي: «وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إليَّ مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به....» (رواه البخاري برقم ٦١٦٤).

- **عد** إلى أحد كتب شروح الحديث وانظر في معانيه، وأوجد الصلة بين هذا الحديث وبين ما تقدم في الكلام عن كون العبادة «صلة» بين الله والإنسان.

خلاصة

إن أداءك ما فرضه الله عليك من العبادات، وإتباعه بأداء المستحبات والمندوبات، يعزز الصلة بينك وبين الله تعالى حتى يظهر أثرها على كل جوارحك، توفيقًا وتأييدًا وتسديدًا.

ارجع إلى كتاب «لماذا أنا مسلم؟» من هذه السلسلة، وتعرَّف على أهمية تحقيق التوحيد وإفراد العبادة لله عز وجل.

تبني الفرد والمجتمع

بل ويظهر أثر هذه الصلة جليًّا في تنظيم المجتمع وضبطه وجعله على حالة سويّة من الاعتدال والتوازن.

سخّر الله سبحانه وتعالى الكون للإنسان، ووهب له من صفات العقل والقوة وحب التملك وغيرها، ما يعينه على الاستعانة بهذا التسخير في عمارة الأرض وممارسة دوره فيها.

إلا أنَّ هذه الصفات أسلحةٌ ذات حدَّين، فقد تحمل صفة القوة الإنسان على ظلم الآخرين، وأن يتجه بما لديه من نزعة التملك إلى سلب أموال الآخرين، فإذا تركت تلك الصفات دون ضبط فإنها تنقلب إلى عامل شقاء واضطرابٍ في حياة البشرية، وكان يمكن أن تكون عامل سعادة ورقي ونظام.

فمن أجل ذلك كان لا بدّ من وجود قوة أخرى تهيمن على تلك الصفات بالقيادة والضبط والتوجيه، ولا توجد تلك القوة في شيء كما توجد في العبوديّة الصحيحة لله عز وجل، فهي التي توقظ الإنسان من أوهامه وسكرة الغرور بصفاته، فيعلم أن فوقه من هو أقوى منه، وأغنى منه وأحكم منه وأقدر منه، فيتواضع لله عز وجل، ويستخدم تلك الصفات فيما يرضيه سبحانه من إقامة العدل ونصرة الحق.

فمن شأن العبودية الصحيحة لله تعالى أن تنزل بالمتكبرين من عليائهم، وتحجزهم عن التطاول على الآخرين، وأن ترتفع بالمستضعفين من حال الذُّل والهوان إلى صعيد الحرية والكرامة، وأن تعيد إليهم مشاعر العزِّ والإباء، وبذلك يلتقي هؤلاء وأولئك على حدودٍ عادلة متساوية، لا تدع لهذا الجانب أو ذاك فرصة للاستغلال أو وسيلة للاستعباد.

ناقش

١- **ما** دلالة أن أول فعل فعله ﷺ بعد قدومه المدينة كان بناء المسجد؟ وبماذا يعود من الآثار على المجتمع؟

٢- **لماذا** حثّ الإسلام الناس على صلاة الجماعة بدلًا من الصلاة منفردين؟

٣- **ما** الحكمة الإلهية من فرض صلاة الجمعة؟

٤- **لماذا** كان الحج في وقتٍ واحد في السنة، ولم يكن للناس أن يأتوا منفردين متى ما أردوا ويحجوا في الوقت الذي يناسبهم؟

نشاط

عد إلى أحد كتب السيرة النبوية، وانظر في أول فعلٍ فعله النبي ﷺ بعد نزوله في المدينة المنورة بعد الهجرة.

جعل التشريع الإلهي كثيرًا من العبادات موئلًا للتلاقي والاجتماع؛ إذ إننا إذا تأملنا فيها وجدنا أنه نظم لنا اجتماعًا بين المسلمين على مستوى أهل البيوت المتجاورة يتكرر في اليوم خمس مرات في الصلوات الخمس، ونظم اجتماعًا آخر على مستوى الحي أو القرية يتكرر في الأسبوع مرة واحدة، وذلك في صلاة الجمعة، ونظّم اجتماعًا آخر للمسلمين على مستوى العالم الإسلامي كله، يتكرر في العام مرة واحدة وذلك في الحج إلى بيت الله الحرام.

ومن هنا ندرك أهمية ما تتضمنه كثير من العبادات الجماعية في الإسلام، من دعم روح الألفة والاجتماع، وتغذية أسباب التعاون على شتى المستويات، وهو ما يفسر اهتمام النبي ﷺ ببناء المسجد حال قدومه إلى المدينة؛ حتى يتلاقى المهاجرون والأنصار يوميًّا وفي مراتٍ متعددة في ذلك المسجد، فتسقط بينهم الفوارق والحواجز، وتستيقظ فيهم وتعلو هويتهم الحقيقة الواحدة؛ هوية عبوديتهم لله تعالى، فيتعاونون فيما بينهم على البر والتقوى، وكل ما يحتاجون إليه في دينهم ودنياهم.

خلاصة

تكريم الله عز وجل لبني آدم

إنَّ صفة «العبودية لله تعالى» فيها نفحات من التشريف والإكرام الذي يُحَصِّله الإنسان عندما يستشعر عظمة ذلك «الانتساب التعبدي» الذي توحي به ظلال تلك الكلمة «عبدٌ لله»، إنها على عكس كل ما يمكن أن يطلق على الإنسان من ألفاظ؛ ككلمة «إنسان»، أو كلمة «ابن آدم»، فوحدها كلمة «عبدٌ لله» تحوي تلك الدلالة على الانتساب والصلة بيننا وبينه سبحانه وتعالى.

تأمل معي هذه الآيات التي ورد فيها ذكر «عباد» منسوبة إلى الله تعالى:

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ١٨٦].

وقال سبحانه: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ﴾ [التوبة: ١٠٤].

وقال أيضًا: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾﴾ [الزمر: ١٧]، وقال عز وجل: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٣].

فأنت ترى أن السياقات التي استخدمت فيها كلمة «عباد» فيها فيوضات من البشارة والمحبة والرضا الإلهي الكريم، فلا يوصف الإنسان بوصف العبودية لله إلا للدلالة على حبّ الله له، فيا لجمال تلك الصفة، ويا لشرف تلك الرتبة؛ نسبة عالية في الانتماء، ترتقي شرفًا في علياء السماء.

التقويم

١ علِّل ما يلي:

أ – للعبادة أثر اجتماعي في نشر روح الألفة.

.....

.....

ب – العبادة هي الضمان الأكثر رسوخًا في كبح أهواء الإنسان.

.....

.....

ج – العبادة سبب لنيل محبة الله تعالى.

.....

.....

.....

د – تشريع صلاة الجمعة (من الناحية الاجتماعية).

.....

.....

.....

هـ – بناء النبي ﷺ للمسجد حال قدومه إلى المدينة المنورة.

.....

.....

.....

٢ اختر الإجابة الصحيحة:

أ- يرد لفظ «العبد» منسوبًا إلى الله تعالى في سياق:

- ☐ الابتلاء.
- ☐ الذل والمهانة.
- ☐ النسيان.
- ☐ التشريف والتكريم.

ب - العبادات التي فرضها الله تعالى على الإنسان فيها:

- ☐ تكريم.
- ☐ إهانة.
- ☐ تعذيب.

٣ اذكر دليلًا من القرآن على تكريم الله عز وجل لبني آدم:

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

الخاتمة

لقد سارت بنا كلمات هذا الكتاب في رحلةٍ مليئة بالحُسن، عرفنا فيها أنّ الإنسان منذ لحظة دخوله في الإسلام، يعلن انتماءه إلى ركب المحسنين، وأن حياته تتدرج من حَسن إلى أحسن؛ في صلاته وصيامه وزكاته وحجّه، حتى تسلك به تلك العبادات طريقًا إلى غاية الغايات وهو القرب من الله سبحانه وتعالى، والارتقاء إلى أعلى المنازل؛ منزلة الإحسان.

وطريق المحاسن ذلك يعلمنا أنّ أجمل ما في العبادات أنها سبيل الوصل بيننا وبين الله سبحانه وتعالى، وأنّه لو لم يكن لتلك العبادات من ثمراتٍ وآثار سوى تلك المزية، وهذه المنحة؛ لكفتنا، ولكانت مؤنسةً ومحفِّزة لنا في التغلب على ما قد تجده نفوسنا من صعوبات ومشاق في أداء تلك العبادات.

إنّ الكريم سبحانه وتعالى قد تفضّل علينا وتحبّب إلينا بما أودعه من محاسن في تلك العبادات؛ فأقل ما يمكن للإنسان المسلم أن يفعله، أن يقابل إنعامه سبحانه عليه بشغفٍ وحرصٍ على الإقبال عليه، فإن هو فعل ذلك وأحسن فيه، كان الجزاء من الكريم سبحانه وتعالى الفوز بالجنان، كما قال تعالى: ﴿هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ ٦٠﴾[الرحمن: 60].

والحمد لله رب العالمين

مركز أصول
www.osoulcenter.com

ما يجده الإنسان من محاسن في أركان الإسلام، يذيقه حلاوة قلبية وعقلية ونفسية تحببه في الله سبحانه وتبشره بالوصول إليه والقرب منه جل وعلا!

وقد قالوا قديمًا: من ذاق عرف، ومن عرف اغترف.

وهذا الكتاب، جمع واستعراض لبعضٍ من محاسن الإسلام في أركانه الخمسة الجليلة، عسى أن يسهم ولو قليلاً في تعبيد طريق يبتدئ بالمحاسن وينتهي بالإحسان، للوصول إلى رضا الرحمن جل وعلا.

يأتي هذا الكتاب ضمن سلسلة السلوك والتزكية، التي تضم أربعة عشَر كتابًا بُنِيَت وَفق طريقة التعلم الذاتي؛ لإكساب المسلم ما يحتاج إليه من معارف تُعينه على تهذيب نفسه وتزكيتها، بُغية الثبات على دين الله، والدعوة إليه ونشره بين الآخرين.

osoulcenter

www.osoulcenter.com

لتحميل هذا الكتاب وغيره من الكتب، من خلال متجر أصول:

OSOUL STORE osoulstore.com